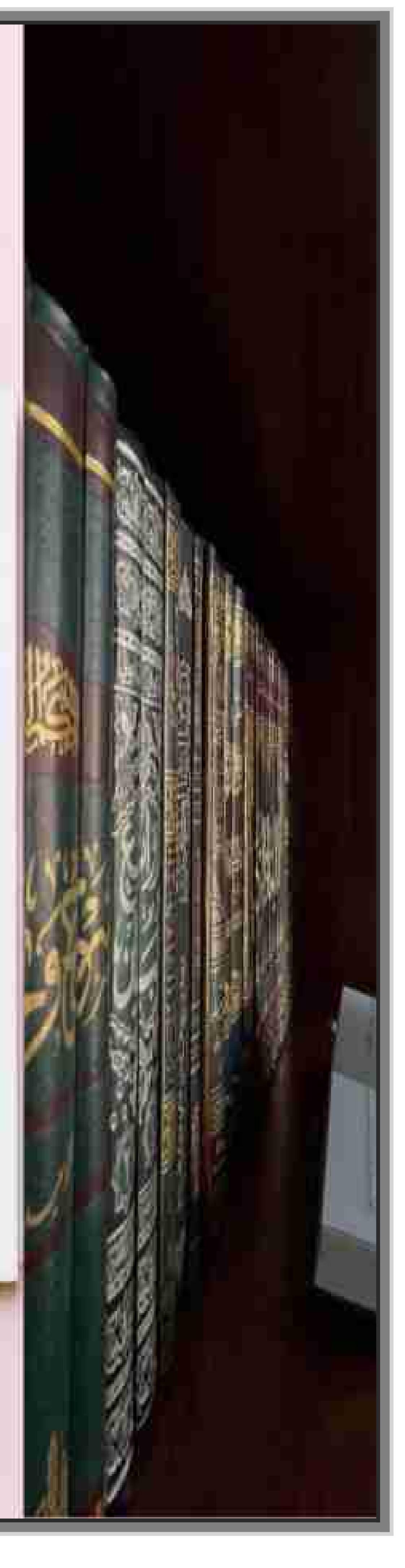
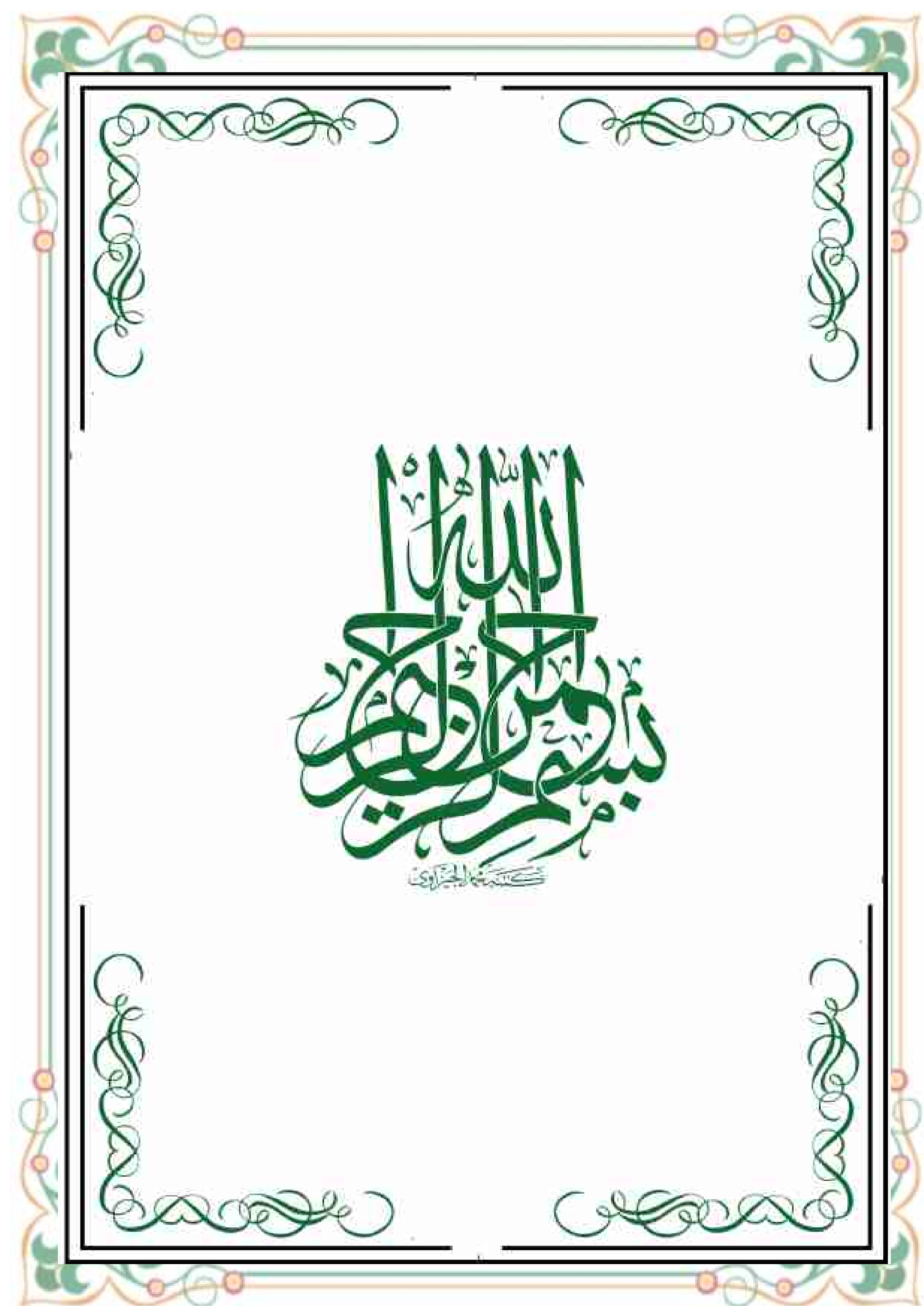
شرحُ قصيدةٍ لأبي العتاهية

من سالم الناس سَلِمْ

من شتمَ الناس شُتِمْ

/ أبو محمد عبدالله الماوي




بسم الله الرحمن الرحيم



شرح قصيدة طيبة لأبي العتاهية

/ أبو محمد التعزي الماوي

[المقدمة]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون}

[آل عمران: 102] ،

{يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا} [النساء: 1] ،

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (70) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (71)} [الأحزاب: 70، 71] .

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

فقد قال الإمام ابن ماجه رحمه الله: حدثنا أبو بكر ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، عن يونس ، عن الزهري ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، عن مروان بن الحكم ، عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث ، عن أبي بن كعب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الشعر لحكمة ». وهذا حديث صحيح

ففي بعض الأشعار حكم، ومقالات جميلة، ونصائح مفيدة، وكم انتفع به الناس سواء المنظومات العلمية التي سهلت ضبط الفنون والقواعد، أو الردود المنهجية، أو المواعظ الزهدية، وهذه القصيدة من هذا القسم

والشعر كما هو معلوم له وقع كبير في النفوس، تلتذ له الأسماع وتطرب له القلوب هذا إن كان حسنا طيبا يحمل معاني عظيمة

كما قال ابن الوردي:

انظم الشعر ولازم مذهبي   في اطراح الرفد لا تبغ النحل

فهو عنوان على الفضل وما   أحسن الشعر إذا لم يُبتذل

وقال صلى الله عليه وسلم:«إن من البيان لسحرا» كما في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

وهذا شيء معلوم،

وقد عُرف الشاعر أبو العتاهية رحمه الله تعالى بسلاسة الشعر وعذوبة القصائد، فلا يستعمل وحشي اللغة وغريب الكلام، وإنما يأتي بعبارات يفهمها الصغير قبل الكبير، مع ما تحمله من المعاني الجميلة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء {والله ذو الفضل العظيم}

وقد لوحظ في أشعار أبي العتاهية أنها تميل إلى الزهديات كثيرا

وأشعاره طيبة، مليئة بالنصائح والتوجيهات، والدرر
وهذا من خير يستغل به الشاعر موهبته، أما أولئك الذين أشعارهم كلها ما بين تغزل بالنساء ووصف للعورات ومواطن الشهوات، أو أولئك الذين نظموا قصائد مضادة للكتاب والسنة، سواء قصائد بدعية كجوهرة التوحيد! للأشاعرة أو قصائد شركية كالبردة للبوصيري، أو أبيات كفرية إلحادية كأبيات المعري وغيره، فكل هؤلاء لم يوفقوا في استغلال هذه الموهبة، بل تكون منصبة في ميزان سيئاتهم،

فجزى الله تعالى أبا العتاهية خيرا على ما خلف وترك لهذه الأمة من الخير والنفع، وقد مرت بي قصيدة له فأعجبتني وأحببت أن أشرحها فأفكك ألفاظها وأستخرج مكنونها، وأدعمها بأدلة الكتاب والسنة

أسأل الله التوفيق والإعانة، والإخلاص والقبول والنفع

والحمد لله رب العالمين

🖊️ أبو محمد عبد الله بن عبد الباري بن محمد التعزي الماوي

وفقه الله وسدده

[ترجمة أبي العتاهية]

اسمه ونسبه /

إسماعيل بن قاسم بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي (١) مولاهم ، العيني (٢) ، الكوفي، نزيل بغداد وأصله من الحجاز .

قيل: كنيته أبو إسحاق، وإنما قيل له أبو العتاهية؛ لاضطراب فيه.

وقيل: إن المهدي قال له: أنت إنسان متحذلق مُعته (٣).

وقيل: كان يحب الخلاعة، فيكون مأخوذا من العتو.

قال محمد بن يحيى : كني بأبي العتاهية إذ يحب الشهرة والمجون والتعته.

◄ أمه : أم زيد بنت زياد المحاربي مولى بني زهرة.

◄ زوجته: هاشمية بنت عمرو اليمامي مولى لمعن بن زائدة، له منها ولد اسمه محمد ويلقب بعتاهية، وقد ذكروا أنه حذا حذو أبيه في الشعر والزهد، له ترجمة في [تاريخ بغداد] (٣٥٧/٢)

قال بعضهم: يظهر أنه كان إلى الأنوثة أميل منه إلى الرجولة! وعلل ذلك بكونه دقيق العظم، قليل اللحم، أبيض اللون، أسود الشعر ، له وفرة جعدة حسنة، ولباقة.
وهذا الكلام -والله أعلم- تخرص باطل، فكثير من الناس يتصف بذلك، ومن متى كانت الإناث مختصة بهذه الصفات ؟!

---

(١) نسبة إلى عنزة بن أسد بن ربيعة. انظر " الأغاني " (٣/٤) ، و " وفيات الأعيان " (٢٢٦/١).

(٢) نسبة إلى عين التمر وهي البلدة التي ولد فيها. (٣) أي: فيك جنون واضطراب في العقل.

◄ مولده/ وكان مولده سنة ثلاثين ومائة. [البداية والنهاية](٢٩٠/١٠)

قال ابن خلكان رحمه الله: مولده بعين التمر ، وهي: بلدة بالحجاز قرب المدينة، وقيل: إنها من أعمال سقي الفرات،
وقال ياقوت الحموي في كتابه المشترك: إنها قرب الأنبار ، والله أعلم. [وفيات الأعيان](٢١٩/١)

◄ حياته وبعض أخباره /

قال ابن خلكان: نشأ بالكوفة وسكن بغداد ، وكان يبيع الجرار فقيل له: الجرار . [وفيات الأعيان](٢١٩/١)

قيل: كان يطوف بالجرار الخضر بالكوفة، يحملها على قفص في ظهره، وقيل: إنما كان أخوه زيد هو الذي يبيع الجرار ،
وذكروا أن أبا العتاهية سئل عن ذلك فقال: أنا جرار القوافي وأخي جرار التجارة.

ولكن قد روي أيضا عن عبد الحميد بن سريع قال: أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرار يأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم الشعر .
وهذا إن صح فهو مقدم لأن الرجل حكى خبرا رآه بعينه، ولا عيب في ذلك، وبعضهم يقول: كان جرارا ثم ترك وأقبل على الشعر .
والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

◄ قال الذهبي: سار شعره لجودته، وحسنه، وعدم تقعره.
وقد جمع أبو عمر بن عبد البر شعره وأخباره ، تنسك بأخرة. وقال في المواعظ والزهد، فأجاد. وكان أبو نواس يعظمه، ويتأدب معه لدينه، ويقول: ما رأيته إلا توهمت أنه سماوي، وأني أرضي.
[سير أعلام النبلاء](١٩٥/١٠)

روى الخطيب البغدادي عن هارون بن سعدان، قال: كنت جالسا مع أبي نواس في بعض طرق بغداد، وجعل الناس يمرون به، وهو ممدود الرجل بين بني هاشم وفتيانهم والقواد وأبنائهم، ووجوه أهل بغداد فكل يسلم عليه فلا يقوم إلى أحد منهم ولا يقبض رجله إليه، إذ اقبل شيخ راكبا على حمار مريسي وعليه ثوبان ديبقيان قميص ورداء قد تقنع به ورده على أذنيه، فوثب إليه أبو نواس، وأمسك الشيخ عليه حماره واعتنقا وجعل أبو نواس يحادثه، وهو قائم على رجليه فمكثا بذلك مليا حتى رأيت أبا نواس يرفع إحدى رجليه ويضعها على الأخرى مستريحا من الإعياء، ثم انصرف الشيخ، وأقبل أبو نواس فجلس في مكانه، فقال له بعض من بالحضرة: من هذا الشيخ الذي رأيتك تعظمه هذا الإعظام، وتجله هذا الإجلال؟

فقال: هذا إسماعيل بن القاسم أبو العتاهية، فقال له السائل: لم أجللته هذا الإجلال؟ وساعة منك عند الناس أكثر منه، قال: ويحك لا تفعل، فوالله ما رأيته قط إلا توهمت أنه سماوي وأنا أرضي. [تاريخ بغداد](٧/٢٢٦)

◄ تقدم أنه كان نشأ بالكوفة وانتقل إلى بغداد مع إبراهيم الموصلي وافترقا هناك فنزل أبو العتاهية الحرة، اقترب من الخليفة المهدي وامتدحه بأشعاره، ولكنه عشق جاريته عتبة فقيل: إن المهدي حبسه، فلم يزل يسترقه بأشعاره حتى فرج عنه بل وكان سيزوجه بها فامتنعت الجارية، واحتقرته

[عشقه لجارية المهدي]

قال ابن خلكان في " وفيات الأعيان " : واشتهر بمحبة عتبة جارية الإمام المهدي، وأكثر نسيبه فيها فمن ذلك قوله :

أعلمت عتبة أنني ... منها على شرف مطل
وشكوت ما ألقى إلي ... ها والمدامع تستهل
حتى إذا برمت بما ... أشكو كما يشكو الأقل
قالت: فأي الناس يع ... لم ما تقول فقلت: كل.

وكتب مرة إلى المهدي وعرض بطلبها منه :

نفسي بشيء من الدنيا معلقة ... الله والقائم المهدي يكفيها
إني لأيأس منها ثم يطمعني ... فيها احتقارك للدنيا وما فيها

وقال أبو العباس المبرد في كتاب " الكامل "(2: 302) :
إن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يطلق له أن يهدي إلى أمير المؤمنين في النيروز والمهرجان، فأهدى له في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب على حواشيه هذين البيتين المقدم ذكرهما، فهم بدفع عتبة إليه، فجزعت، وقالت: يا أمير المؤمنين، حرمتي وخدمتي، أتدفعني إلى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومتكسب بالشعر ؟! فأعفاها وقال: املأوا له البرنية مالا ، فقال للكتاب: أمر لي بدنانير، وقالوا: ما ندفع إليك ذاك، ولكن إن شئت أعطيناك دراهم إلى أن يفصح بما أراد ، فاختلف في ذلك حولا،(أي: عاما كاملا وقيل: شهرا وهو أهون)

فقالت عتبة: لو كان عاشقا كما يزعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير، وقد أعرض عن ذكري صفحا.

وقال ابن كثير رحمه الله :

قد كان تعشق جارية للمهدي اسمها عتبة، وقد طلبها منه غير مرة فإذا سمح له بها لم ترده الجارية، وتقول للخليفة: أتعطيني لرجل دميم الخلق كان يبيع الجرار؟ فكان يكثر التغزل فيها، وشاع أمره واشتهر بها، وكان المهدي يفهم ذلك منه. [البداية والنهاية](٢٩٠/١٠)

وقال ابن المعتز : حدثني أبو الأزهر التبان عن أبي العنقاء البصري قال: كان أبو العتاهية أحد المطبوعين، وممن كاد يكون كلامه شعر ا كله، وغزله لين جدا مشاكل لكلام النساء، موافق لطباعهن، وكذلك كان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، والعباس بن الأحنف، وكان أبو العتاهية يتغزل في عتبة جارية رائطة بنت أبي العباس السفاح ويظهر عشقها، وكان يجيد الوصف.

فمما قاله في عتبة قوله:

أعلمت عتبة أنني ... منها على شرف مطل

وشكوت ما ألقى إلي ... ها والمدامع تستهل

حتى إذا برمت بما ... أشكو كما يشكو الأذل

قالت: فأي الناس يع ... لم ما تقول فقلت: كل

أجمع أهل الأدب أنهم لم يسمعوا قافية أحق بمكانها من قوله: (فقلت كل) وهي قصيدة مشهورة يغني بها.

وحدثني المبرد قال: حدثني محمد بن البصري قال: كان أبو العتاهية، لسهولة شعره وجودة طبعه فيه، ربما قال شعرا موزونا ليس من الأعاريض المعروفة، وكان يلعب بالشعر لعبا، ويأخذ كيف شاء.

وحدثني إبراهيم بن العباس الكاتب عن أبيه قال: قال أبو العتاهية: قال لي المأمون: أنت أشعر أم أبو نواس؟ فقلت: أنا من قد علمت يا أمير المؤمنين، ولوددت أن أبيات أبي نواس لي فأستعلي بها على شعراء أهل الأرض، قال: وما هي؟ قلت قوله:

ومستبعد إخوانه بثرائه ... لبست له كبر أبر على الكبر

متى ضمني يوما وإياه مجلس ... رأى جانبي وعرا يزيد على الوعر

وقد زادني تيها على الناس أنني ... أراني أغناهم وإن كنت ذا فقر

قال المأمون: أحسن الرجل أحسن.

وحدثني المعروسي الكوفي قال: حدثني محمد بن زياد - كان يروي لأبي العتاهية شعرا كثيرا قال: جلس أبو العتاهية يوما إلى قصار فسمع صوت الكدين فقال باقتداره شعرا على إيقاعه، منه هذا البيت: المنون مفنيات ... واحدا فواحدا

كأنه نظر إلى القصار أخذ ثوبا بعد ثوب، فشبهه بأخذ الموت إنسانا بعد إنسان، وأخذ الوزن من وقع الكدين.

ومما سار له قوله:

بسطت كفي نحوكم سائلا ... ماذا تردون على السائل

إن لم تنيلوه فقولوا له ... قولا جميلا بدل النائل

أو كنتم العام على عسرة ... ويلي فمنوه إلى قابل

ولهذا الشعر من قلوب النساء موقع الزلال البارد من الظمآن لرقته، وحدثني أبو البلاد عن الأخوص الأصغر قال: كانت عتبة التي يسبب بها ويظهر عشقها أبو العتاهية جارية لرائطة بنت أبي العباس السفاح، وكان رائطة تحت ابن عمها المهدي بن المنصور

أمير المؤمنين، فلما بلغ المهدي إكثاره في شعره من ذكرها ووصفها غضب وقال: ما يجد هذا الجرار أحدا يعبث بحرمة غيرنا؟ وكان أبو العتاهية قديما يبيع الجرار في سوق الكوفة، ثم تأدب فارتفع بأدبه. قال: فأمر بحبسه، فعمل أبو العتاهية من قبل يزيد بن منصور خال المهدي - وكان أعز الناس إليه - حتى تخلص، فعاد إلى مثل حاله معها، فلما طال هذا دخلت رائطة على المهدي فشكته وقالت: قد شهر بجاريتي بشعره وفضحها، واحفظته عليه، فأحضره وضربه بالسياط في الدواوين بين يديه، وكان ضعيف البنية فغشى عليه، فلما أفاق رفع رأسه

فإذا بعتبة واقفة تنظر إليه من سطح فقال:

بخ بخ يا عتب من مثلكم ... قد قتل المهدي فيكم قتيل

فتعجب المهدي ورق له ورحمه، وأمر بالإحسان إليه، ووعده بالجارية أن يستوهبها من مولاتها ويدفعها إليه، فلما علمت الجارية ذلك، وألح أبو العتاهية على المهدي يقتضيه ما وعده بشعره قالت: يا أمير المؤمنين أستجير في مروءتك وشرفك وما يلزمك من حق خدمتي وصحبتي أن تخرجني من دار النعمة إلى بائع جرار سوقي دنيء النفس، وبعد، فإنما يريد الذكر والشهرة، وليس بعاشق، فإن أردت أن تعرف ما يقول فمر له بمال له خطر، فإنه سيلهيه عني ويشغله عن ذكري، فأمر له المهدي بمائة ألف، ولم يسم ورقا ولا عينا، فأورد أبو العتاهية توقيعة بذلك على الكتاب، فأعطوه مائة ألف درهم على أنه لم يسم شيئا، فأبى ولم يرض وقال: أنا لا أراه وقع لي بمائة ألف دينار، فإنه لم يكن ليعوضني منها أقل من هذا، فقالوا: حتى نؤامره إذا في هذا الكتاب، وكان يتردد شهرا يطالب به، فأشرقت عليه عتبة

وقالت له: - وقد دخل الدار يقتضي ذلك -: يا صفيق الوجه، لو كنت عاشقا لشغلك العشق عن المفاضلة بين الدراهم والدنانير.
وبلغ كلامها المهدي، فعلم أنها كانت أعرف بقصة الرجل، فأمسك عن أمره.

ولأبي العتاهية في الرشيد وكان وجد عليه فحبسه فكتب إليه:

تفديك نفسي من كل ما كرهت ... نفسك إن كنت مذنبا فاغفر
يا ليت قلبي لديك صور ما ... فيه لتستيقن الذي أضمر

فرق له، ووقع في رقعته: لا بأس عليك، فاطمأن إلى ذلك.

ثم تمادى مكثه في الحبس فكتب إليه:

كأن الخلق ركب فوق روح ... له جسد وأنت عليه رأس
أمين الله إن الحبس بأس ... وقد وقعت: ليس عليك باس

فأمر بإطلاقه.

ومما كتب إليه في الحبس أيضا هذا:

إنما أنت رحمة وسلامة ... زادك الله غبطة وكرامة

قيل لي قد رضيت عني فمن لي ... أن أرى لي على رضاك علامه

وحقيق ألا يراع بسوء ... من رآك ابتسمت منه ابتسامه

لو توجعت لي فروحت عني ... روح الله عنك يوم القيامة

وكان الرشيد حين حبسه جعل أمره خادم له يقال له ماهر، وكان يحسن إليه، فهو يقول:

كفاني العناية من أمره ... بتشمير ما كان من غرسه
وكان الشفيع إلى غيره ... فصار الشفيع إلى نفسه. [طبقات الشعراء]

وقال ابن خلكان:

ومن شعره في عتبة جارية المهدي:

يا إخوتي إن الهوى قاتلي ... فيسروا الأكفان من عاجل

ولا تلوموا في اتباع الهوى ... فإنني في شغل شاغل

ويقول فيها:

عيني على عتبة منهلة ... بدمعها المنكب السائل

يا من رأى قبلي قتيلا بكى ... من شدة الوجد على القاتل

بسطت كفي نحوكم سائلا ... ماذا تردون على السائل

إن لم تنيلوه، فقولوا له ... قولا جميلا بدل النائل

أو كنتم العام على عسرة ... منه فمنوه إلى القابل

[وفيات الأعيان]

قال ابن المعتز في " طبقات الشعراء " :

أخبار أبي العتاهية

حدثني أبو الخصيب قال: حدثني المزيدي قال: أبو العتاهية اسمه إسماعيل بن القاسم وكنيته أبو إسحاق وهو مولى لعنزة،...

حدثني أبو رجاء البصري قال: حدثنا علي بن معمر التميمي قال: حدثني شيخ من قدماء الكتاب قال: كنت: آتي أبا العتاهية فأنسخ أشعاره في الزهد وغيره، وكان له بنتان: إحداهما يقال لها بالله، والأخرى لله وكان له ابن زاهد ناسك، وكان مع ذلك شاعرا، إلا أنه قد تخلى من الدنيا...

وحدثني بعض أهل الأدب قال: أهدي أبو العتاهية إلى الرشيد نعلا وكتب إليه:

نعل بعثت بها لتلبسها ... قدما تسير بها إلى المجد

لو كان يمكن أن أشركها ... خدي جعلت شراكها خدي

وسمع رجل أبا العتاهية ينشد:

فانظر بعينك حيث شئ ... ت فلن ترى إلا بخيلا

أراد ما في صورة الإسراء { قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا }

فقال الرجل: يا أبا العتاهية بخلت بجميع الناس، قال: فأكذبني بواحد.

حدثني محمد بن راشد الكاتب عن ابن جبلة البنوي قال: أتى أبو العتاهية باب أحمد بن يوسف كاتب المأمون، فحجب عنه فقال:

متى يظفر الغادي بحاجة ... ونصفك محجوب ونصفك نائم

فسار بيته هذا في الأفاق، وجعل الناس يتناشدونه، فاعتذر إليه.
ومما يستحسن له في المواعظ والحكمة:

وعظتك أجداث صمت ... ونعتك أزمنة خفت

وتكلمت عن أوجه ... تبلى وعن صور شتت

وأرتك قبرك في القبو ... ر وأنت حي لم تمت

وله في استبطاء بعض الناس، وما سمع بأحسن منها:

ما أنا إلا لمن يراني ... أرى خليلي كما يراني

لست أرى ما ملكت أمري ... مكان من لا يرى مكاني

من ذا الذي يرتجي الأقاصي ... إن لم ينل خيره الأداني

فلي إلى أن أموت رزق ... لو جهد الخلق ما عداني

لا يكرم الدهر كل من لا ... يصلح إلا على الهوان

واستغن بالله عن فلان ... وعن فلان وعن فلان

فالمال من حله صيان ... للوجه والعرض واللسان

والفقر بيت عليه قفل ... مفتاحه العجز والتواني

ولا تدع مكسبا حلالا ... تكون منه على بيان

ورزق ربي له وجوه ... هن من الله في ضمان

سبحان من لم يزل عليا ... ليس له في العلو ثاني

قضى على خلقه المنايا ... فكل شيء سواه فاني

يا رب لم نبك من زمان ... إلا بكينا على زمان

وهو القائل أيضا:

نعمى نفسي إلي من الليالي ... تصرفهن حالا بعد حال

فما لي لست مشغولا بنفسي ... ومالي لا أخاف الموت مالي

لقد أيقنت أن غير باق ... ولكني أراني لا أبالي

أمالي عبرة في ذكر قوم ... تفانوا ربما خطروا ببالي

كأن ممرضي قد قام يسعى ... بنعشي بين أربعة عجال

وخلفي نسوة يبكين شجوا ... كأن قلوبهن على المقالي

تعالى الله يا سلم بن عمرو ... أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تساق إليك عفوا ... أليس مصير ذاك إلى الزوال

فما ترجو بشيء ليس يبقى ... وشيكا ما تغيره الليالي

بلوت الناس قرنا بعد قرن ... فلم أر غير خلاب وقالي

وذقت مرارة الأشياء جمعا ... فما شيء أمر من السؤال

ولم أر في الأمور أشد هولا ... وأفظع من معاداة الرجال

وأشعار أبي العتاهية كثيرة جدا، إلا أنها مشهورة وموجودة، وفيما أوردناه منها كفاية. [طبقات الشعراء](١/ ٢٢٧_ ٢٣٤)

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله:

واتفق في بعض الأحيان أن المهدي استدعى الشعراء إلى مجلسه وكان فيهم أبو العتاهية وبشار بن برد الأعمى، فسمع صوت أبي العتاهية. فقال بشار لجليسه: أثم ههنا أبو العتاهية؟ قال: نعم فانطلق يذكر قصيدته فيها التي أولها:

ألا ما لسيدتي ما لها * أدلت فأجمل إدلالها

فقال بشار لجليسه: ما رأيت أجسر من هذا.

حتى انتهى أبو العتاهية إلى قوله:

أتته الخلافة منقادة * إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له * ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب * لما قبل الله أعمالها

فقال بشار لجليسه: انظروا أطار الخليفة عن فراشه أم لا ؟ قال: فوالله ما خرج أحد من الشعراء يومئذ بجائزة غيره.

قال ابن خلكان: اجتمع أبو العتاهية بأبي نواس - وكان في طبقته وطبقة بشار - فقال أبو العتاهية لأبي نواس: كم تعمل في اليوم من الشعر ؟ قال: بيتا أو بيتين.

فقال: لكني أعمل المائة والمائتين.

فقال أبو نواس: لعلك تعمل مثل قولك:
يا عتب ما لي ولك * يا ليتني لم أرك

ولو عملت أنا مثل هذا لعملت الألف والألفين وأنا أعمل مثل قولي:

من كف ذات حر في زي ذي ذكر * لها محبان: لوطي وزناء

ولو أردت مثلي لأعجزك الدهر .

قال ابن خلكان: ومن لطيف شعر أبي العتاهية:

إني صبوت إليك حت * تى صرت من فرط التصابي

يجد الجليس إذا دنا * ريح التصابي في ثيابي

[البداية والنهاية](١٠/٢٩٠ _ ٢٩١)

وقال أبو العباس ابن خلكان صاحب " وفيات الأعيان " :

ومن مديحه :

إني أمنت من الزمان وصرفه ... لما علقت من المير حبالا

لو يستطيع الناس من إجلاله ... تخذوا له حر الخدود نعالا

إن المطايا تشتكيك لأنها ... قطعت إليك سبابا ورمالا

فإذا وردن بنا وردن خفائفا ... وإذا صدرن بنا صدرن ثقالا

وهذه الأبيات قالها في عمر بن العلاء، فأعطاه سبعين ألفا، وخلع عليه حتى لا يقدر أن يوم، فغار الشعراء من ذلك، فجمعهم ثم قال: يا معشر الشعراء عجبا لكم! ما أشد حسدكم بعضكم بعضا! أحدكم يأتينا ليمدحنا بقصيدة يشبب فيها بصديقته بخمسين بيتا، فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره، وقد أتانا أبو العتاهية فشب بأبيات يسيرة، ثم قال، وانشد الأبيات المذكورة: فما لكم منه تغارون وكان أبو العتاهية لما مدحه بهذه الأبيات تأخر عنه بره قليلا فكتب إليه يستبطئه:

أصابت علينا جودك العين يا عمر ... فنحن لها نبغي التمائم والنشر

سنرقيك بالأشعار حتى تملها ... وإن لم تفق منها رقيناك بالسور

قال أشجع السلمي الشاعر المشهور : أذن الخليفة المهدي للناس في الدخول عليه فدخلنا، فأمرنا بالجلوس، فاتفق أن جلس بجنبي بشار بن برد وسكت المهدي فسكت الناس،

فسمع بشار حسا فقال لي: من هذا فقلت: أبو العتاهية، فقال: أتراه ينشد في هذا المحفل فقلت: أحسبه سيفعل، فقال: فأمره المهدي أن ينشد، فأنشد :

ألا ما لسيدتي مالها ... أدلت فأحمل إدلالها

قال: فنخسني بشار بمرفقه وقال: ويحك! أرأيت أجسر من هذا ينشد مثل هذا الشعر في مثل هذا الموضع، حتى بلغ إلى قوله:

أتته الخلافة منقادة ... إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره ... لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب ... لما قبل الله أعمالها

فقال لي بشار : انظر ويحك يا أشجع، هل طار الخليفة عن عرشه قال أشجع: فوالله ما انصرف أحد عن هذا المجلس بجائزة غير أبي العتاهية.

وله في الزهد أشعار كثيرة، وهو من مقدمي المولدين في طبقة بشار وأبي نواس وتلك الطائفة، وشعره كثير ...

ومن لطيف شعره قوله:

ولقد صبوت إليك حتى صار من فرط التصابي ...

يجد الجليس إذا دنا ... ريح التصابي في ثيابي

وحكاياته كثيرة،...

وحكى صاعد اللغوي في كتاب " الفصوص ": أن أبا العتاهية زار يوما بشار بن برد، فقال له أبو العتاهية: إني لأستحسن قولك اعتذ ارا من البكاء، إذ تقول:

كم من صديق لي أسا ... رقه البكاء من الحياء

وإذا تفطن لامني ... فأقول ما بي من بكاء

لكن ذهبت لأرتدي ... فطرفت عيني بالرداء

فقال له: أيها الشيخ، ما غرفته إلا من بحرك، ولا نحته إلا من قدحك، وأنت السابق حيث تقول :

وقالوا قد بكيت فقلت كلا ... وهل يبكي من الجزع الجليد

ولكن قد أصاب سواد عيني ... عويد قذى له طرف حديد

فقالوا ما لدمعهما سواء ... أكلتا ملتيك أصاب عود

قال صاعد : وتقدمهما إلى هذا المعنى الحطيئة حيث يقول :

إذا ما العين فاض الدمع منها ... أقول بها قذى وهو البكاء

وكان أبو العتاهية ترك قول الشعر ، فحكى قال: لما امتنعت من قوله أمر المهدي بحبسي في سجن الجرائم، فلما دخلته دهشت ورأيت منظرا هالني، فطلبت موضعا آوي فيه، فإذا أنا بكهل حسن البزة والوجه عليه سيما الخير فقصدته، وجلست من غير سلام عليه لما أنا فيه من الجزع والحيرة والفكر، فمكثت كذلك مليا، وإذا الرجل ينشد:

تعودت مس الضر حتى ألفته وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر

وصيرني يأسي من الناس واثقا بحسن صنيع الله من حيث لا أدري

قال: فاستحسنت البيتين وتبركت بهما، وثاب إلي عقلي، فقلت له: تفضل - أعزك الله - علي بإعادتهما، فقال: يا إسماعيل، ويحك ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومروءتك، دخلت فلم تسلم علي تسليم المسلم على المسلم، ولا سألتني مسألة الوارد على المقيم، حتى سمعت مني بيتين من الشعر الذي لم يجعل الله تعالى فيك خيرا ولا أدبا ولا معاشا غيره، طفقت تستنشدني مبتدئا كأن بيننا أنسا

وسالف مودة توجب بسط القبض، ولم تذكر ما كان منك، ولا اعتذرت عما بدا من إساءة أدبك، فقلت: اعذرني متفضلا، فدون ما أنا فيه يدهش، قال: وفيم أنت تركت الشعر الذي هو جاهك عندهم وسببك إليهم، ولا بد أن تقوله فتطلق، وأنا يدعى الساعة بي، فأطلب بعيسى بن زيد ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن دللت عليه لقيت الله تعالى بدمه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي فيه، وإلا قتلت، فأنا أولى بالحيرة منك، وها أنت ترى صبري واحتسابي، فقلت: يكفيك الله عز وجل وخجلت منه، فقال: لا أجمع عليك التوبيخ والمنع، اسمع البيتين، ثم أعادهما علي مرارا حتى حفظتهما، ثم دعي به وبي. فقلت له: من أنت أعزك الله عز وجل قال: أنا حاضر صاحب عيسى بن زيد، فأدخلنا على المهدي، فلما وقفنا بين يديه قال الرجل: أين عيسى بن زيد قال: وما يدريني أين عيسى ابن زيد تطلبته فهرب منك في البلاد وحبستني، فمن أين أقف على خبره قال له: متى كان متواريا وأين آخر عهدك به وعند من لقيته قال: ما لقيته منذ توارى، ولا عرفت له خبرا! قال: والله لتدلن عليه، او لأضربن عنقك الساعة، فقال: اصنع ما بدا لك، فوالله ما أدلك على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألقى الله تعالى ورسوله عليه السلام بدمه، ولو كان بين ثوبي وجلدي ما كشفت لك عنه، قال: اضربوا عنقه، فأمر به فضربت عنقه، ثم دعا بي فقال: أتقول الشعر، أو ألحقك به قلت: بل أقول، قال: أطلقوه، فأطلقت، وقد روى القاضي أبو علي التنوخي في البيتين المذكورين زيادة بيت ثالث، وهو:

إذا أنا لم أقنع من الدهر بالذي   تكرهت من طال عتبي على الدهر

وحكايات أبي العتاهية كثيرة. " وفيات الأعيان " (١/ ٢٢٠_ ٢٢٦)

◄ ذكروا أنه بعد موت المهدي اتصل بموسى الهادي ثم بالرشيد

◄ يذكرون أنه كان بخيلا مع أنه يذم البخل في شعره فيقول:

لم يضر بخل البخيل غيره   فهو المغبونُ لو كان فطن.

ويحث الإنسان على سد الخلة، وأن ما زاد إنما هو سجين عنده فيقول: حزت ما يكفيك من سد خلة

فصرت إلى ما فوقه صرت في سجن.

وتراه يوبخ نفسه، ويذمها على البخل قائلا:

وإلى متى أنا ممسكٌ   بخلا بما ملكت يميني

يا نفسُ أنت شحيحةٌ   والشحُ من ضعف اليقين.

◄ ذكر كرم البستاني في تحقيقه على ديوان أبي العتاهية أن هذا يدل على تأثر أبي العتاهية بالحكمة الهندية التي جمعت بين الزهد في الدنيا والتصوف وبين تقديس المال! وهذا جمع بين النقيضين.

قلت: قد ينصح المرءُ بالشيء مع عدم عمله به، أو تقصيره فيه،

ولذلك قيل: لا تنه عن خلق وتأتي مثله   عار عليك إذا فعلت عظيم.

ولكن يعتذر له بقول القائل:

خذ بنصحي ولا يغررك تقصيري   ينفعك نصحي ولا يضررك تقصيري.

وإلا فلا شك أن الشعراء الذين التصقوا بالخلفاء والملوك كانت عندهم مآرب دنيوية، فلذلك يكثرون من مديحهم ليحظوا ببعض دننانيرهم، حتى أحد الشعراء: الشاعر الفلاني أصيد لدراهم الملوك مني !

وقد قال الذهبي رحمه الله :[مدح أبو العتاهية المهدي، والخلفاء بعده، والوزراء]. والله المستعان

◄ مكانته الشعرية/

يروى عنه قوله: ما أردت الشعر قط إلا مُثل لي فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد.

بل روي أنه قال: لو شئت أن أجعل كلامي كله شعرا لفعلتُ !

وروي عن الفراء قال: إنه شعر الإنس والجن!

ويروى عن ابن الأعرابي قوله: لم أر شاعرا قط أطبع ولا أقدر على بيت منه وما أحسب مذهبه إلا ضربا من السحر .

حتى غلا مصعب بن عبد الله فقال : هو أشعر الناس.

روي عن الأصمعي أنه قال: شعر أبي العتاهية مثل ساحة الملوك، يقع فيه الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى.

وعبارة الأصمعي أقرب مما سبق

وأحسن منها قول الذهبي: [سار شعره لجودته، وحسنه، وعدم تقعره].

الحق أن شعره حسن، جيد، سلس، وفيه حكم ونصائح، وليس بمعصوم.

والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب

◄ **وفاته ودفنه** / توفي أبو العتاهية: يوم الاثنين الثالث وقيل: الثامن من شهر جمادى الآخرة، سنة إحدى عشرة ومائتين.

وقيل: سنة ثلاث عشرة ومائتين، وله ثلاث وثمانون سنة، أو نحوها، ببغداد. [سير أعلام النبلاء](١٩٧/١٠) [البداية والنهاية](١٠ _ ٢٩١)

قيل: عاش إلى خلافة المأمون، وذكروا أنه مدحه ببعض شعره،

◄ دفن حيال قنطرة الزياتين في الجانب الغربي من بغداد ، على نهر عيسى.

◄ ولما حضرته الوفاة قال: أشتهي أن يجيء مخارق المغني ويغني عند رأسي، والبيتان له من جملة أبيات :

إذا ما انقضت عني من الدهر مدتي... فإن عزاء الباكيات قليل

سيعرض عن ذكري وتنسى مودتي ... ويحدث بعدي للخليل خليل

وأوصى أن يكتب على قبره هذا البيت :

إن عيشا يكون آخره المو ...ت لعيش معجل التنغيص.

[وفيات الأعيان]، [البداية والنهاية](١٠ _ ٢٩١)

◄ كان من الشعراء العباسيين، المولدين (١) ، ومعلوم أن المولدين لا يحتج بشعرهم في العربية والعروض؛ لأنهم ليسوا كشعراء العرب الأقحاح، فقد حصل في شعرهم الركة والخروج عن أوزان الشعر العربي؛ لضعف العربية فيهم بسبب مخالطة العجم.

---

(١) متى يبدأ عصر المولدين ؟ لأهل العلم كلام كثير في ذلك ومن أحسن ما قيل: إن عصر المولدين يبدأ من سنة ١٠٠ بعد الهجرة، وقيل: من سنة ٢٠٠ وقيل غير ذلك هذا بالنسبة للمدن أما البوادي والقرى فبقي الاستشهاد بكلام بعض القبائل حتى القرن الخامس لعدم مخالطتهم للعجم، ويقولون: آخر الشعراء الذين استشهدوا بشعره إبراهيم بن هرمة.

◄ معتقده/ رمي بالزندقة وبأنه ثنوي!

قال ابن المعتز : ويرمى بالزندقة مع كثرة أشعاره في الزهد والمواعظ، وذكر الموت والحشر والنار والجنة والذي يصح لي أنه كان ثنويا. [طبقات الشعراء](١/٢٢٧)

الثنوية هم الذين يعتقدون أن للكون إلهين إله الخير وهو النور ، وإله الشر وهو الظلمة، وهذا باطل قطعا فليس هو بثنوي

ومن نظر أشعاره وما يقوله لم يجد شيئا من هذا البتة والله أعلم بل أبياته فيها الدعوة إلى العقيدة الإسلامية، لا سيما الموت والجنة والنار والآداب التي حث عليها الشرع الحنيف المطهر

وقيل: إن المراد بكونه ثنوي قوله بأن الله سبحانه خلق جوهرين متضادين لا من شيء، ثم بنى العالم منهما، وأن الله سبحانه سيرد الأشياء إلى هذين الجوهرين قبل أن تفنى الأعيان.

وهل يقصد بالجوهرين النفس و المادة أو ماذا ❓

فبعضهم نسب إليه مذهب الفلاسفة ! وقالوا: إنما أشعاره في ذكر الموت والفناء لا النشور والمعاد، ومعلوم أن الفلاسفة ينكرون الحشر والمعاد

ولكن هذا كله لا يستطاع الجزم به، ولا نسبته إليه من غير سند؛ لأنه لم يصرح به، وإنما هو استنباط استظهره بعضهم من بعض أشعاره، وكونه يذكر الموت إنما يريد به الحث على العمل والتزود للمعاد ولقاء الله سبحانه وهو القائل:

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحنُ.

ولو كان ينكر المعاد لكانت الغفلة عن الطاعات عنده محمودة؛ لأنه لا يوجد حساب ولا عقاب فلماذا يذم الغفلة ؟!

بل سيعتبر الطاعات هي الغفلة عن اغتنام هذه اللذات قبل حضور المنية وانتهاء المعيشة، فكونه يقرن ذكر الموت بالزهد وذم الغفلة يدل ذلك على إيمانه بالمعاد، ففي نسبة مذهب الفلاسفة إليه نظر

زد على ذلك أن تأثر الناس بكلام الفلاسفة إنما ظهر بعد ترجمة المأمون لكتب اليونانيين وأبو العتاهية مات في خلافة المأمون، فمتى قرأها ؟! ومتى اعتقد ما فيها ؟!

وهو القائل:

فوا عجبا كيف يعصى الإله   أم كيف يجحده الجاحدُ
وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

◄ قال كرم البستاني: كان يذهب إلى أن المعارف بقدر الفكر والبحث والاستدلال طباعا، ويقول بالوعيد وتحريم المكاسب، ويتشيع بمذهب الزيدية والبترية (الذين يقولون: الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حق لعلي رضي الله عنه) ويرى الجبر ، ومع ذلك لا يرى الخروج على الحكام قال: ويظهر أنه يقول بخلق القرآن!

وهذا كله يحتاج إلى أسانيد صحيحة تثبت ذلك عنه، وهذا خلاف الأصل في المسلم، فلا يبعد أن يكون مدسوسا عليه للتشويه في عرضه، حتى ينفر الناس عن شعره، ولعل أصل ذلك الحسد والله أعلم. فتلخص عندنا براءته من فساد المعتقد ، ومما يؤيد هذا ثناء العلماء من أئمة السنة عليه، فانظر ماذا قال عنه الذهبي رحمه الله، قال الذهبي :[رأس الشعراء، الأديب، الصالح الأوحد].
فوصفه هذا الإمام كما ترى بالصلاح، ولا يمكن أن يصفه بالصلاح مع علمه بفساد معتقده؛ فإن هذا سيكون من الكذب والغش

وأما ما سبق ذكره من كونهم ذكروا أنه كان يحب المجون والخلاعة، فهذا إن صح فهو في أيام صباه وشبابه، ولكنه قد ترك ذلك وصار متنسكا بعد ذلك كما تشهد له بذلك أشعاره

قال الخطيب البغدادي رحمه الله: وكان يقول في الغزل والمديح و الهجاء قديما، ثم نسك وعدل عن ذلك إلى الشعر في الزهد وطريقة الوعظ، فأحسن القول فيه، وجود وأربى على كل من ذهب ذلك المذهب، وأكثر شعره حكم وأمثال، وكان سهل القول قريب المأخذ، بعيدا من التكلف، مقدما في الطبع.

[تاريخ بغداد](٧/٢٢٦)

◄ والناظر في عمل أهل العلم يرى أنهم يتناقلون شعره من غير تعرض لنقد معتقده، كابن عبد البر وغيره من الأئمة، فإذن لا بأس بحفظ أشعاره الطيبة وتناقلها والاستفادة منها

وهذه القصيدة التي بين أيدينا كلها حكم مستقاة من الكتاب والسنة فأحببت تفكيك عباراتها، وكسوتها بالأدلة الشرعية، وتوشيحها بكلام أهل العلم

فنسأل الله بها أن ينفعَ   كاتبها وقارئا ومن وعى [١]

◄ قال الذهبي: وتحتمل سيرة أبي العتاهية أن تعمل في كراريس. [سير أعلام النبلاء](١٠/١٩٨)

---

(١) هذا البيت لأخينا أبي بكر الشميري وفقه الله تعالى

تجد ترجمته في هذه المصادر

[سير أعلام النبلاء](١٠/١٩٥) ، [الشعر والشعراء] 497 - 501،

[طبقات ابن المعتز] 228 ، [تاريخ الطبري] 10 / 278،

[مروج الذهب] 7 / 82 - 88 ، [الموشح] 254 - 263،

[الأغاني] 4 / 1 - 112، [الفهرست] 181،
[تاريخ بغداد] 6 / 250 - 260، [وفيات الأعيان] 1 / 219 - 226،
[المختصر في أخبار البشر] 2 / 31،

[ميزان الاعتدال] 1 / 245، العبر 1 / 360،
[عيون التواريخ] 7 / لوحة 263،

[مرآة الجنان] 2 / 49 - 52، [البداية والنهاية] 10 / 265، 266،

[لسان الميزان] 1 / 426، [روضات الجنات] 102، 103،

[معاهد التنصيص] 2 / 285، [شذرات الذهب] 2 / 25،

[دائرة المعارف الإسلامية] 1 / 377،

[أمراء الشعر العربي في العصر العباسي]: 138.

وقد حقق ديوانه الدكتور شكري فيصل (دمشق: 1965) .

وحققه كرم البستاني في طبعة رديئة

نص القصيدة

قال أبو العتاهية من [بحر الرجز]:

١_ مَنْ سالمَ الناسَ سَلِمْ... مَن شَاتَم الناسَ شُتِمْ

٢_ مَنْ ظَلَمَ الناسَ أسا... مَن رَحِمَ الناسَ رُحِمْ

٣_ مَنْ طَلَبَ الفضل إلى... غيرِ ذوي الفضل حُرِمْ

٤_ مَنْ حَفِظَ العهدَ وَفَى... مَنْ أحسنَ السمعَ فَهِمْ

٥_ مَنْ صَدَقَ اللهَ عَلا ... مَنْ طَلَبَ العِلمَ عَلِمْ

٦_ مَنْ خَالَفَ الرُّشْدَ غوى.. مَنْ تَبِعَ الغَيَّ نَدِمْ

٧_ مَنْ لَزِمَ الصَّمْتَ نَجَا ... مَنْ قال بالخيرِ غَنِمِ

٨_ مَنْ عَفَّ واكْتَفَ زَكَا... مَنْ جَحِدَ الحق أثم

٩_ مَنْ مَسَّهُ الضرُّ شكا... مَنْ عَضَّهُ الدهرُ أَلِمْ

١٠_ لَمْ يَعدُ حياً رزقه... رِزقُ امرءٍ حيثُ قُسِمْ

[ديوان أبي العتاهية](صفحة ٣٩٤) تحقيق كرم البستاني _ طبعة: دار بيروت

هذه الأبيات من بحر الرجز

ومفتاح هذا البحر

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

هذا حال كونه تاما، وقد يأتي مجزوءا وذلك بأن تحذف منه تفعيلتان عروضه وضربه فيصير

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

وهذا حالة كون التفعيلات سالمة لم يدخلها زحاف ولا علة

وقد يدخل العروض القطع وهو: حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين المتحرك قبله فتصير (مفعولن) وتنقل إلى (مستفعلْ)

خلاصة هذا البحر أن له عروضان:-

1_ سالمة صحيحة ولها ضربان:

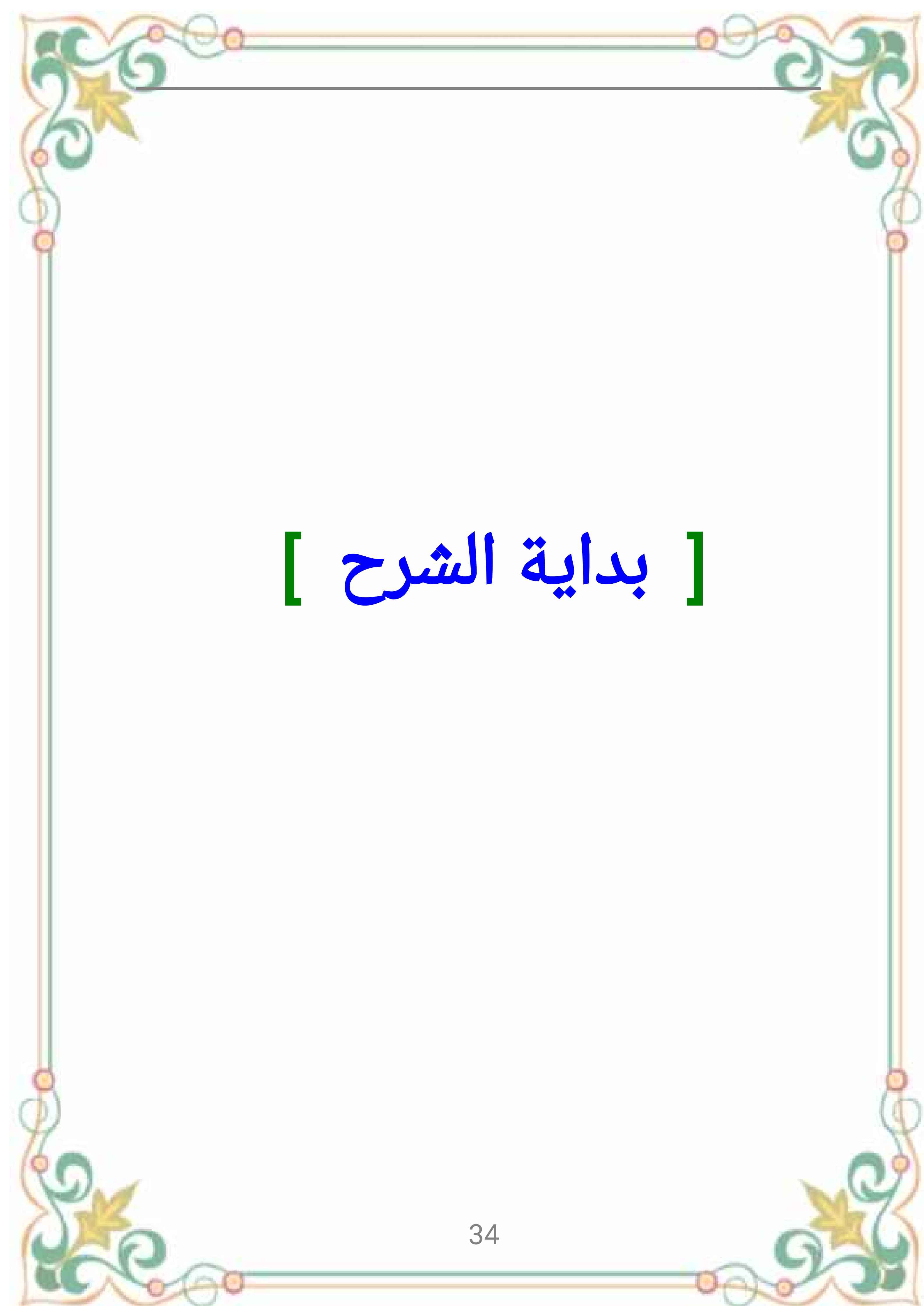
١_ صحيح (مستفعلن) ٢_ مقطوع (مفعولن)

2_ مجزوءة صحيحة ولها ضرب واحد: صحيح (مستفعلن)

العروض آخر تفعيلة من الشطر الأول من البيت الشعري

الضرب آخر تفعيلة من الشطر الثاني من البيت الشعري

وبحر الرجز سمي حمار الشعراء لكونه سهل، حتى قيل إنه أقرب البحور إلى النثر ، وقد أجازوا فيه دخول الخبن والطي والخبل أنا على يقين تام أنه لن يفهم هذا الكلام شخص لم يدرس علم العروض والقافية، وقصدت بإيراد هذا لفت الانتباه إلى هذا الفن حتى يسارع إلى تحصيله من كان ذا نهمة في العلم.



[بداية الشرح]

_ بسم الله الرحمن الرحيم _

💢 ١_ من سالم الناس سَلم ... من شاتم الناس شتم

(من) اسم موصول بمعنى الذي، وهو مفيد للعموم

معنى البيت واضح جدا لكل ذي عينين: أنه قد علم بالتجربة أن مَنْ سالم الناسَ فلم يؤذهم يَسلم هو من أذاهم، فالجزاء من جنس العمل، وكما يدين الفتى يدان، وهذه قاعدة عظيمة ولها ما يدل عليها من الكتاب والسنة كقوله تعالى:{أوفوا بعهدي أوف بعهدكم} {فاذكروني أذكركم} وكقوله صلى الله عليه وسلم:«قال الله تعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك»«اللهم اعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا» وهذا على سبيل الإشارة والمثال لا على سبيل الحصر ، وقد سردتُ أدلة كثيرة جدا من الكتاب والسنة لهذه القاعدة في رسالة أسميتها: [الإفصاح والبيان بأدلة قاعدة الجزاء من جنس العمل وكما يدين الفتى يدان] وهذه قاعدة كونية وشرعية، أعني بكونها كونية أن سنن الله سبحانه الجارية في الكون تدل عليها، وكونها شرعية أن الشرع ورد بها، وحكم بها كقوله تعالى:{كتب عليكم القصاص} وكقوله تعالى:{العين بالعين والسن بالسن...} وقوله سبحانه:{وجزاء سيئة سيئة مثلها} هذا هو الغالب أي: أن من سالم الآخرين يسلم من شرهم ، ولكن قد وجد أيضا من الناس من لوسالمته مهما سالمته لا تسلم من شره، ومن أذيته، فهؤلاء يُصبر عليهم ويدعى لهم لعل الله أن يهديهم، وكم من الناس من كان هذا حاله لكن لما وُجد من الطرف الآخر مواصلة الإحسان أثر ذلك فيه وتغير خلقه إلى الأحسن

أو يبتعد عنهم، وينتقل من جوارهم وينظر له جار آخر طيبا ، وقد كان السلف رحمة الله عليهم ربما ينتقل أحدهم من دياره ويبيعها بثمن بخس لسوء الجوار

وقد قيل: بجيرانها تغلي الديارُ وترخصُ

وإن اشتدت أذيته يُرفع أمره لولي الأمر كشيخ البلد أو القاضي أو المحاكم الموجودة حاليا، ويجب على ولي الأمر أو من يرفع إليه تعزيره بحسب أذيته، ويؤدبه بما يستحقه.

ومما يدخل تحت قوله: من سالم الناس سلم.

أن من يُسالم أهل الإسلام من الكفار إما بالدخول في الإسلام أو بدفع الجزية فإنه يسلم من محاربتهم له

ومما يطابق هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لهرقل وغيره من ملوك الكفر لما كان يدعوهم للإسلام :« أسلم تسلم » فمن سالم أهل الإسلام سَلمَ من محاربتهم له

ولكن الله المستعان فقد صار أهل الإسلام الآن في ضعف شديد حتى صاروا يهابون من عدوهم كما كان ينبغي أن يهابهم عدوهم وليس ذلك من قلة، وإنما هي المعاصي خذلتهم، فالنصر والقوة من الله سبحانه، والأسلحة والعتاد إنما هي أسباب {وما النصر إلا من عند الله}

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتعد منهم عروش كسرى وقيصرى وسائر ممالك الكفرة مع أنهم يلبسون المرقع! ويموت أحدهم فلا يجدون له كفنا يغطي جميع جسده! ولكنها قوة الإيمان، أما اليوم فإلى الله المشتكى

قال الناظم:

💢 ١ـ ... ... من شاتم الناس شُتِم

هذا العجز يندرج تحت ما سبق ذكره، يدخل تحت قاعدة الجزاء من جنس العمل وكما يدين الفتى يدان، وقد وردت أحاديث مرفوعة بهذه الألفاظ ولا تصح، لكن معناها صحيح بلا شك لاندراجها تحت أدلة عامة كثيرة، سبق ذكر بعضها ومن أراد المزيد فليرجع إلى الرسالة المشار إليها سابقا والله أعلم

فإذن الذي يشاتم الناس لاشك أنهم سيشتمونه، فإن أراد السلامة من شتمهم -وهذا لاشك أنه يريده كل عاقل فضلا عن المسلم الذي يجب أن يتنزه عنه وفي حديث «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش البذي»(١)- فعليه بترك مشاتمة الآخرين

وكما قيل:

لسانك لا تذكر به عورة امرء فكلك عورات وللناس ألسنُ
وعينك إن أبدت إليك معايبا فصنها وقل يا عين للناس أعين

ولذلك جعل الشارع الحكيم سب الرجل لأناس فيسبون أمه أو أباه من أكبر الكبائر كما روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ».
قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه ؟ قال : « يسب الرجل أبا الرجل، فيسب أباه ويسب أمه ».

(١) رواه أحمد عن ابن مسعود وصححه الألباني رحمه الله

وفي الصحيحين عن المعرور بن سويد ، قال : لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن : ذلك ، فقال : إني سابيت رجلا فعيرته بأمه، قيل: قال له: يا ابن السوداء!

فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم :«يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية. إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم ».

في لفظ: (كان بيني وبين رجل من إخواني كلام ، وكانت أمه أعجمية، فعيرته بأمه ، فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية »)

وفي لفظ: قلت: يا رسول الله، من سب الرجال سبوا أباه وأمه.

قال الإمام النووي: معنى كلام أبي ذر الاعتذار عن سبه أم ذلك الإنسان يعني أنه سبني ومن سب إنسانا سب ذلك الإنسان أبا الساب وأمه فأنكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا من أخلاق الجاهلية وإنما يباح للمسبوب أن يسب الساب نفسه بقدر ما سبه ولا يتعرض لأبيه ولا لأمه. " شرح مسلم " (١٣٣/١١)

فالخلاصة: أن من يُحسن خلقه مع الناس سيجدهم يقابلونه بذلك

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ   لطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

هذا هو الأصل الذي جُبلت عليه النفوس، {هل جزاء الإحسان إلا الإحسان}

ومن كان خلقه مع الناس سيئا، قد عَوّدَ لسانه السبّ والشتم سيجد منهم نحو ذلك، إما مثله أو أعظم وربما ضرب وأهين.

قال الناظم :

💢 ٢_ من ظلم الناس أسا ... ...

معنى الصدر إجمالا: من ظلم الناس بأيّ صورة من صور الظلم سواء بالأقوال أو بالأفعال فقد أساء، وظلم الأقوال كالبهتان والافتراء عليهم، وظلم الأفعال كالسرقة وكالتعدي على ذواتهم بالضرب أو الأذية من غير حق كل ذلك يعتبر إساءة للمرء نفسه وللمُساء إليه، والمقصود بكونه أساء لنفسه أنه يكسب إثما على نفسه وبهذا يكون ظالما لها وقد قال الله سبحانه:{فلا تظلموا فيهن أنفسكم} وقال في الحديث القدسي:«يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي فلا تظالموا» رواه مسلم عن أبي ذر ،«الظلم ظلمات يوم القيامة» كما في الصحيح عن ابن عمر وفي مسلم عن جابر

الظلم تعريفه عند أهل السنة: وضع الشيء في غير ما وضع له.

قال ابن فارس: الظاء واللام والميم أصلان صحيحان،
أحدهما: خلاف الضياء والنور ،
والآخر: وضع الشيء غير موضعه تعديا.

فالأول الظلمة، والجمع ظلمات. والظلام: اسم الظلمة ..
والأصل الآخر : ظلمه يظلمه ظلما. والأصل: وضع الشيء في غير موضعه ; ألا تراهم يقولون: " من أشبه أباه فما ظلم "، أي: ما وضع الشبه غير موضعه. قال كعب:

أنا ابن الذي لم يخزني في حياته ... قديما ومن يشبه أباه فما ظلم

[مقاييس اللغة](٤٦٨/٣)

قوله : ﷺ ٢ـ ... ... من رَحمَ الناس رُحِم

معنى العَجُز : أن الذي يرحم الناس يرحمه رب الناس بل ويسهل الله سبحانه له من يرحمه من الناس، لأنه كما تقدم الجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان

ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء » رواه الإمام أبو داود والترمذي وأحمد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال وهو على المنبر : « ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون ».

قال ابن رجب رحمه الله: أقماع القول: الذين آذانهم كالقمع يدخل فيه سماع الحق من جانب ويخرج من جانب آخر لا يستقر فيه. [فتح الباري](١/١٩٧)

الشاهد من الحديث قوله: ارحموا ترحموا. فمن أراد أن يرحمه الله سبحانه عليه برحمة عباده، ومن الذي استغنى عن رحمة الله؟! لا شك أن كل مسلم يطلب رحمة الله، فإذن علينا بالتراحم فيما بيننا، بل قد ثبتت رحمة الله لمن رحم الحيوان، فقد روى أحمد عن قرة بن إياس ، أن رجلا قال : يا رسول الله، إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها. أو قال : إني لأرحم الشاة أن أذبحها. فقال : " والشاة إن رحمتها رحمك الله، والشاة إن رحمتها رحمك الله ".

والرحمة من الصفات الحميدة فطرة وعقلا، ويكفيك مدحا لها أن الله سبحانه قد اتصف بها {وربك الغفور ذو الرحمة}، {وهو الغفور الرحيم}، وفي البخاري عن أبي هريرة «إن رحمتي غلبت غضبي»

ويكفيك أيضا مدحا للرحمة أن العبد لا يدخل الجنة إلا بها فالعبد يعمل الأعمال الصالحة لينال بها رحمة الله تعالى فإذا رحمه الله أدخله جنته برحمته لا بعمله، فالجنة ليست بضاعة تشترى بالعمل، ولو كانت كذلك ما دخلها عبد قط بعمله {ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا}[فاطر: ٤٥]

{ولو يؤاخذ الناس بظلمهم ما ترك عليها من دآبة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى}[النحل: ٦١]

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحب الأعمال أدومها إلى الله، وإن قل ".

وأكثر الناس رحمة بالناس هم أهل السنة والجماعة، لأنهم يرشدونهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، ويرشدونهم إلى ما فيه نجاتهم من عذاب الله وعقابه

حتى تحذير أهل السنة من المبتدعة وكلامهم فيهم إنما هو من النصح لدين الله سبحانه، وهو من الرحمة بهم لأن التحذير منهم ينفر الناس عنهم، فلا يقتدي الناس بهم فتقل أوزارهم، كما روي عن السلف نحو هذا

وقام علم الجرح والتعديل على هذا الأساس الذي مبناه الرحمة لأن المبطل إن تبعه ناس على باطله يتحمل أوزارهم كما قال اللّٰه سبحانه:{ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون} [النحل:25]

وقال النبي صلى اللّٰه عليه وسلم : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا. ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا ". رواه مسلم عن أبي هريرة

عن عبد اللّٰه بن مسعود رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم : " لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ؛ لأنه أول من سن القتل ". متفق عليه

قال الناظم :

💢 ٣_ من طلب الفضل إلى... غير ذوي الفضل حُرم

معنى البيت: أن الذي يطلب الشيء في غير محله لن يجده، وهذا أمر بديهي، ومن ذلك الذي يطلب الفضل إن طلبه من غير ذويه لن يجده، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فإذا كان الذي تطلب منه الفضل ليس من ذوي الفضل كيف له أن يدلك على الفضل؟!

فمن أراد الفضل عليه بطلبه من أهله، ولا شك أن طريق نيل الفضائل وتحصيل المكارم واكتساب المعالي لا يكون إلا في بابين لا ثالث لهما: الأول: العلم النافع، الثاني: العمل الصالح
ولهذا كان هذان الأمران عنوانَ ما أرسل الله سبحانه نبيه بهما كما قال سبحانه:{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق} [الصف: ٩]

وعليه فأهل الفضل هم أهل العلم وأهل العمل، هم العلماء والعباد وكل عالم عابد ولا عكس ، فمن طلب الفضل عليه بالعلماء

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ ... على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... وللرجال على الأفعال سيماءُ
وضد كل امرئ ما كان يجهله ... والجاهلون لأهل العلم أعداءُ
ففز بعلم تعش حيا به أبدا ... الناس موتى وأهل العلم أحياءُ

{يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات}[المجادلة: ١١]

وفي مسلم عن عمر الفاروق رضي الله عنه «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين » وفي البخاري عن أبي عبد الله عثمان بن عفان رضي الله عنه «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»

أما من طلب الفضل والرفعة في الجاه والمال والنسب فلن يجده

فقد رفعَ الإسلامُ سلمانَ فارس وقد وضعَ الكفرُ النسيبَ أبا لهب

وقال ربنا سبحانه:{تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب}،

وقال عز سلطانه:{وما يغني عنه ماله إذا تردى}؟!

فمن بحث عن الفضل والرفعة والسيادة والعز في المال لن يتحصل عليه حتى وإن صار أغنى الخلق! لأنه طلب شيئا في غير محله، وهكذا من يطلب الرفعة بالحسب والنسب يظن أنه يرتفع بذلك وإنما هو كالدخان يعلو بنفسه على طبقات الجو وهو وضيعُ

قال النبي صلى الله عليه وسلم:«من بطأ به عمل لم يُسرع به نسبه» رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

فلا يُقدس المرء ماله ولا نسبه ولا جاهه ولا وطنه إنما يُقدسه عمله الصالح {من كان يريد العزة فلله العزة جميعا}[فاطر: ١٠]

{ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن أكثر الناس لا يعلمون} [المنافقون: ٨]

قال بعضهم: (عليك بما يفيدك في المعاد وما تنجو به يوم التناد)

(فمالك ليس ينفع فيك وعظ ولا زجر كأنك من جماد)

(ستندم إن رحلت بغير زاد وتشقى إذ يناديك المنادي)

(فلا تفرح بمال تقتنيه فإنك فيه معكوس المراد)

(وتب مما جنيت وأنت حي وكن متنبها من ذا الرقاد)

[التبصرة لابن الجوزي](١/٢٩٢)

ليس السعيدُ الذي دنياه تُسعدُهُ إن السعيدَ الذي ينجو من النار

قال الناظم:

💢 ٤_ من حفظ العهد وفى ... ...

قال ابن فارس رحمه الله: العين والهاء والدال أصل هذا الباب عندنا دال على معنى واحد، قد أومأ إليه الخليل. قال: أصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به. " مقاييس اللغة " (١٦٧/٤)

معنى الصدر : أن الذي يحفظ العهد وفى بما أوجب الله سبحانه عليه بقوله:{وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم}[النحل: ٩١] وأيضا يكون قد وفى لمن عاهده بما أراد، ولاشك أن ذلك مشروط بما ليس حراما

وأعظم من يجب الوفاء بعهده هو رب العباد سبحانه كما قال جل وعلا:{وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون}[الأنعام: ١٥٢]

وقد أثنى الله سبحانه على الذين يوفون بالعهد فقال جل وعز : { الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق (٢٠)}[الرعد] وذكر بعض صفاتهم إلى أن قال:{ أولئك لهم عقبى الدار (٢٢) جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب (٢٣) سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (٢٤)} وذم الله سبحانه الذين ينقضون عهده ووصفهم بالفسق والخسارة فقال جل شأنه:{وما يضل به إلا الفاسقين (٢٦) الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون (٢٧) }[البقرة] وقال عز سلطانه:{والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار (٢٥)}[الرعد]

بل إن الله سبحانه لعن أقواما لنقضهم العهد فقال سبحانه: {فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية}[المائدة: ١٣]

وقال عز وجل:{ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا (15)}

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: يقول تعالى ذكره: ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصراف عنه، ويقولون:{إن بيوتنا عورة}، عاهدوا الله من قبل ذلك، ألا يولوا عدوهم الأدبار، إن لقولهم في مشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم معهم، فما أوفوا بعهدهم {وكان عهد الله مسئولا} يقول: فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه.
وذكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد. " تفسيره " (٢٠/٢٢٨)

قوله: {وكان عهد الله مسئولا} قيل: إن العهد يُجسد يوم القيامة ويُسأل عمن وفى به ممن نقضه، وهذا لا مانع منه فإن الله سبحانه على كل شيء قدير وقد ثبت أنه يجعل أشياء كانت في الدنيا معنوية فصيرها حسية كالموت وثواب سورة البقرة وآل عمران كما هو معلوم، وقيل: المراد يُسألُ الناسُ عنه. والله أعلم

ذكر السمعاني رحمه الله عن مقاتل وغيره من المفسرين أنهم قالوا: إن الآية نزلت في الذين بايعوا رسول الله ليلة العقبة، وقالوا: يا رسوا الله، اشترط لربك، فقال:«أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا» فقالوا: اشترط لنفسك. فقال: أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأولادكم " وكان الذين بايعوا ليلة العقبة سبعين نفرا. ولم يرتضه السمعاني فإنه قال: وهذا القول ليس بمرض؛

قال: لأن أصحاب العقبة لم يكن فيهم شاك، ولا من يقول مثل هذا القول، وإنما الآية في قوم عاهدوا أن يقاتلوا ولا يفروا حتى يقتلوا ونقضوا العهد. " تفسير السمعاني " (٤/٢٦٧)

🔲 تنبيه مهم في قضية العهد وهي: مسألة معاهدة الله سبحانه على ترك معصية من المعاصي أو على ترك المعاصي مطلقا!
هذا لا ينبغي أن يُقدم عليه العبد مهما فعل من المعاصي؛ لأنه لا يضمن لنفسه الوفاء بهذا العهد، وهذا غلط يقع فيه كثير من المسلمين، لاسيما العباد منهم، فإنهم يحرصون على الطاعات فإن زلت القدم في المعصية، استغفر وندم، فإذا عاد زعم أن توبته السابقة لم تصح، فيندم أشد مما سبق، فإن تكرر ذلك منه ذم نفسه وغلب عليه الندم وحرقة المعصية فيلجأ إلى هذا الأمر ويقول:
أعاهدك يا رب أني لن أعود! وهذا غلط، وإن كان لاشك أنه جائز لكن يجب عليه الوفاء به وإلا أثم وترتبت عليه عقوبة الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه فربما صار ملعونا!
فيجب التنبه لهذا،

واعلم أن الله سبحانه يعلم ضعفك، ويعلم نقصك، ويعلم ما عندك من الشهوات والميلان، وهو الغفور الرحيم والشكور الحليم الستير ، فلذلك يرضى منك بالتوبة فقط إذا أذنبت، لكن توبة صادق بعزيمة، كلما وقعت في ذنب لا تيئس ولا تقنط ولا تستسلم بل تب واستغفر واندم واعزم على عدم العودة، فإن عُدتَ فافعل كما فعلت سابقا وافعل أسباب مكفرات الذنوب كالصدقة مثلا لما عند الترمذي عن معاذ رضي الله عنه«والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار» وأيضا الدعاء...، هذا الذي يرضاه الله من عباده ،

وقد قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها :«إن الله لا يمل حتى تملوا» فلا تمل من التوبة مهما أذنبت

ولذلك في مسلم عن أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل - قال : " أذنب عبد ذنبا، فقال : اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال : أي رب، اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال : أي رب، اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك "

أي: ما دام يعقب الذنب بالتوبة،

قال الإمام ابن رجب رحمه الله : يعني: ما دام على هذه الحال كلما أذنب ذنبا استغفر منه.[جامع العلوم والحكم](٢/٤٨٤)

وعند الترمذي عن معاذ وأبي ذر :«اتبع السيئة الحسنة تمحها»

قال الإمام ابن رجب رحمه الله :

لما كان العبد مأمورا بالتقوى في السر والعلانية مع أنه لابد أن يقع منه أحيانا تفريط في التقوى، إما بترك بعض المأمورات، أو بارتكاب بعض المحظورات، فأمره أن يفعل ما يمحو به هذه السيئة وهو أن يتبعها بالحسنة، قال الله - عز وجل -: {وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين}.[جامع العلوم والحكم](٢/٤٨٢)

قال الناظم:

... ... من أحسن السمع فهم

معنى العَجُز : أن الذي يُصغي سمعَه للمتكلم يفهم مقصوده، ما لم يكن أصما، أو لغته تختلف عن لغة المتكلم، ولعل مقصوده ما هو أخص من ذلك وهو سماع الطالب من شيخه، فإنه إن أراد طالب العلم فهم العلم الذي يلقيه العالم عليه بحسن الاستماع فهذا من أعظم أسباب وصول المعلومة نقية إلى الذهن، ومن أعظم أسباب فهم العلم، ولذا يقولون: فَهْمُ السؤال نصفُ الجواب!

والسمع أقوى آلات تحصيل العلم ولذلك قال سبحانه:{ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا } ثم ذكر آلات تحصيل العلم وابتدأها بالسمع فقال:{ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون }[النحل: ٧٨]

مفهوم المخالفة في البيت: أن الذي لا يحسن الاستماع لن يفهم، وذلك لأن الذهن يتشوش، والقلب لا يستطيع الانشغال بأمرين في وقت واحد ولذلك قال الله سبحانه:{ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه }[الأحزاب: ٤] وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كما في الصحيحين : سلمنا عليه (يعني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي) فلم يرد علينا، وقال :« إن في الصلاة شغلا ».

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

وكل مشغول فلا يُشغلُ مثاله المرهنُ والمسبلُ

المسبل المراد به: الموقوف: الذي قد صار وقفا، فلا يصح التصرف فيه ببيع أو هِبَة أونحو ذلك ، لأنه مشغول بالوقف

قال الناظم:

💢 ٥_ من صدق الله علا ...

معناه واضح جدا: أن الذي يصدق مع الله سبحانه في حياته يعلو ويرتفع شأنه وذكره في السماء قبل الأرض، وعند الله قبل خلقه، كما قال عزوجل:{فاذكروني أذكركم}،«من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم» كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، بل لقد بلغ من شأن الصادق مع الله أن الله عز وجل يتولاه ويكفيه أعداءه كما في البخاري عن أبي هريرة :«من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب»! ولو قرأت سير الصادقين مع الله سبحانه لرأيتَ العجب، سواء الرسل أو من دونهم من المؤمنين كيف علا ذكرهم عند الله وكيف منحهم تلك العطايا الربانية ، من المعجزات والكرامات، فجعل النار غير محرقة لنبي إبراهيم وجعل الصخرة تنشق فتخرج منها ناقة لنبيه صالح وجعل الموتى ترجع لهم الحياة لنبيه عيسى وجعل البحر ينشق لنبيه موسى وجعل القمر ينشق والجذع يحن والماء ينبع من بين الأصابع لنبيه محمد عليهم جميعا الصلاة والسلام، كما جعل أيضا لغير الأنبياء ممن حذا حذوهم واستن بسنتهم ما تندهش له الألباب فجعل الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وبحصاة يقتل دابة عظيمة ويلقى في البحر فيموت من ألقاه ويخرج سالما! بل ويحاول آخرون إلقاءه من فوق جبل فيرتجف الجبل لهذا الغلام لا لجماله ولا لماله ولا لحسبه ولكن لصدقه مع الله سبحانه وهكذا غيره فهاهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسون المرقع ويأكلون أوراق الشجر وترتعد منهم ملوك الجبابرة

بل جعل الله سبحانه لهم البحر برا يمشون فوقه حتى إن أحدهم يسقط من خيله وينهض كأنه في صحراء وهو فوق بحر خضم

هذا شأن الصدق مع الله سبحانه، وهذه إلماحة يسيرة والأمر أعظم من ذلك، فحري بنا أن نصدق مع الله سبحانه وذلك يكون بطاعة الله في السر والعلانية، وهذا مناط الخير كله، ولذلك قال جل شأنه: {فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم}[محمد: ٢١]
وقال جل وعلا:{والصادقين والصادقات} إلى قوله:{أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما}[الأحزاب: ٣٥]

روى النسائي عن شداد بن الهاد ، أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فآمن به واتبعه، ثم قال : أهاجر معك. فأوصى به النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاء دفعوه إليه، فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم. فأخذه فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال : ما هذا ؟ قال : " قسمته لك ". قال : ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة. فقال : " إن تصدق الله يصدقك ". فلبثوا قليلا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم يحمل، قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أهو هو ؟ " قالوا : نعم. قال : " صدق الله فصدقه ". ثم كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في جبة النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته : " اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك، فقتل شهيدا، أنا شهيد على ذلك ".

قال الناظم:

💢 ... ... من طلب العلم علم

معنى هذا العَجُز واضح وهو: أن الذي يطلب العلم سيتعلم، وليس المقصود أن كل من طلب العلم سيصير عالما، هذا لا يقوله أحد، لأن العالم لا يصل لهذه الرتبة إلا بعد جهد جهيد وصبر ومثابرة وبعد عن المغريات وعن المشغلات والملهيات، وإيثار العلم بالوقت والمال وكل ما يقدر عليه، وكم قد طلب العلم أقوام ثم صُرِفوا عنه إما بدنيا أو بفتن أو بانتكاسة أو بأصحاب سوء ونحو ذلك

فمراده والله أعلم أن العلم موجود فمن طلبه سيتحصل عليه إن جد واجتهد وأخلص وثابر ودعا الله سبحانه بأن يوفقه ويسدده

ومما يدل على هذا ما رواه ابن حبان عن ابن عن يزيد بن عميرة: أن معاذ بن جبل ـ لما حضرته الوفاة ـ قالوا: يا أبا عبد الرحمن أوصنا قال: أجلسوني ثم قال: إن العمل والإيمان مظانهما من التمسهما وجدهما والعلم والإيمان مكانهما من التمسهما وجدهما فالتمسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء وعند سلمان الفارسي وعند عبد الله بن مسعود وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديا فأسلم فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:«إنه عاشر عشرة في الجنة» صححه العلامة الألباني

ولفظ الترمذي: إن العلم والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما يقول ذلك ثلاث مرات.

وقال ابن الوردي رحمه الله :

لا تقل قد ذهبت أربابه   كل من سار على الدرب وصل.

فلا تقنط وتظن أن العلم صعب عليك ولا يمكن أن تصير عالما مهما بلغ عمرك ، فالعلم ليس له عُمْر معينٌ ، بل ابذل الأسباب وأيقن بأن الله سبحانه لن يُخيب سعيك «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» رواه أحمد وغيره عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه

يقولون: العلم إن أعطيته كلك أعطاك بعضَه وإن أعطيته بعضك لم يُعطك شيء.

ولا شك أن العبارة فيها نوع مبالغة، فمن فرغ من وقته لطلب العلم سيحصل منه ولو في فن من الفنون، فلو أنه أقبل بجد وعزيمة على التجويد أو النحو أو الصرف أو البلاغة أو.. سيستفيد جدا وربما صار مرجعا في هذا الباب حتى وإن كان منشغلا ببعض الأشغال، ولكن هذا يحتاج إلى عزيمة وإصرار ومداومة ولن يكون هذا إلا لمن عنده محبة للعلم

وإن أردتَ أن تتحصل على هذه المحبة للعلم عليك بالنظر في فضل العلم وفضل العلماء ومعرفة الفرق بينهم وبين غيرهم وعليك بقراءة تراجم العلماء والأئمة كيف كانت نهمتهم في العلم ذكروا عجائب وغرائب، ذكروا أن البخاري رحمه الله كان يقوم في الليل عدت مرات يتذكر الفائدة فيقوم ويشغل السراج ليكتبها! وذكروا أن أبا حاتم كان يجعل ولده يقرأ عليه وهو في الحمام! وأراد بعضهم أن يضيع وقت صاحبه بالكلام فقال له: أمسك الشمس. أي: الوقت يذهب فإن أردت الكلام بما لا فائدة فيه أوقف الشمس حتى لا يذهب الوقت، ولست بصدد سرد الآثا في ذلك فهي كثيرة متواترة فراجعها في مظانها لتعلو همتك.

قال الناظم:

💢 ٦_ من خالف الرشد غوى ... من تبع الغي ندم

معناه: أن الذي يُخالف الرشد يصير غاويا أي: ضالا، يقال: غوى المرء إذا أمعن في الضلال

قال ابن فارس عليه رحمة الله تعالى: الغين والواو والحرف المعتل بعدهما أصلان: أحدهما يدل على خلاف الرشد وإظلام الأمر ، والآخر على فساد في شيء. فالأول الغي، وهو خلاف الرشد، والجهل بالأمر، والانهماك في الباطل. يقال غوى يغوي غيا. قال:

فمن يلق خيرا يحمد الناسُ أمرَه ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

[مقاييس اللغة](٤/٣٩٩) قال السمعاني: أي: من خاب سعيه، ولم يجد ما يطلبه. " تفسيره " (٥/٢٨٤)

والرشد هو الطريق المستقيم الذي يوافق الشرع والعقل والفطرة سواء كان اعتقادا أو قولا أو فعلا

والرشد لما كان محمودا مطلقا ادعاه الكافر والمؤمن، فهذا فرعون يقول لقومه:{ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد}[غافر: ٢٩] {وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد}[غافر: ٣٨]

ولكن لا يكون إلا فيما جاء به الشرع المطهر الحنيف لأنه هو الذي فيه النجاة من العذاب والفوز بالنعيم ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:«قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» رواه ابن ماجه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه

وقال:«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي».
رواه الترمذي عن زيد بن أرقم وأصله في مسلم

ولما كان الخلفاء الأربعة قد وفقوا لسبيل الرشد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من سلك سبيلهم سيرشد فقال كما عند ابن ماجه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه:«فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ» فسماهم الراشدين،

وهكذا قال عليه الصلاة والسلام:«إن تطيعوا أبا بكر وعمر ترشدوا»

فمن خالف طريق الرشد، الطريق الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لاشك أنه يقع في الغواية

وإذا وقع في الغواية ماذا عليه ❓

قال الناظم أبو العتاهية في عجز البيت: من تبع الغي ندم.

وهذا لا شك فيه أن من وقع في الغواية أنه سيندم؛ لأن طريق الغواية منتهاها إلى العذاب، وخسران النعيم، إما مطلقا أو خسران للمقامات العالية، ما لم يتداركه الله برحمته، لكن ذاك هو الأصل ولذلك يقول الله عن أصحاب النار : {قال الذين حق عليهم القول} العذاب {ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا}[القصص: ٦٣]

وقالوا: {فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين} [الصافات: ٣٠_٣٢]

والغواية هي: خلاف الرشد وهي طريق المعاصي والظلمات

ولذلك قال الله تعالى عن إبليس لعنه الله أنه قال:{قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم}[الأعراف: ١٦]

لما كان غاويا أراد أن يغوي آدم وذريته، واستكبر عن التوبة

{قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين}[الحجر: ٣٩_٤٠]

{فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين}[ص: ٨٢_٨٣]

ولهذا لما وقع أبونا آدم عليه السلام في المعصية قال الله تعالى عنه:{وعصى آدم ربه فغوى} لكنه سبحانه رحمه وتاب عليه قال: {ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى}

ولما رأى موسى عليه السلام الرجل الذي تخاصم مع قبطي اليوم الأول وتسبب في قتله ثم رآه في اليوم التالي يتخاصم مع قبطي آخر وصفه بالغواية {فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين}
[القصص: ١٨]

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سالكا جادة الطريق ولم ينحرف عن الرشد قال الله عنه:{والنجم إذا هوى (١) ما ضل صاحبكم وما غوى(٢)}[النجم]

قال السمعاني رحمه الله: وكانت قريش يقولون: إن محمدا ضال غاو، فأقسم الله تعالى أنه ما ضل وما غوى، أي: ما أخطأ طريقا {وما غوى} أي: ما خرج عن الرشد في أمر دينه ودنياه، والغي: ضد الرشد. ويقال: ما غوى أي: ما خاب سعيه فيما يطلبه. كأنه أشار إلى وجود ما هو في طلبه. " تفسيره "(٢٨٤/٥)

قال الناظم:

💢 ٧_ من لزم الصمت نجا ... من قال بالخير غنم

قال ابن فارس رحمه الله: الصاد والميم والتاء أصل واحد يدل على إبهام وإغلاق. من ذلك صمت الرجل، إذا سكت، وأصمت أيضا. ومنه قولهم: " لقيت فلانا ببلدة إصمت "، وهي القفر التي لا أحد بها، كأنها صامتة ليس بها ناطق. ويقال " ما له صامت ولا ناطق ". فالصامت: الذهب والفضة. والناطق: الإبل والغنم والخيل. والصموت: الدرع اللينة التي إذا صبها الرجل على نفسه لم يسمع لها صوت. قال:

وكل صموت نثرة تبعية ... ونسج سليم كل قضاء ذائل

وباب مصمت: قد أبهم إغلاقه. والصامت من اللبن: الخاثر ; وسمي بذلك لأنه إذا كان كذا فأفرغ في إناء لم يسمع له صوت.
[مقاييس اللغة](٣٠٨/٣)

معنى الصدر : أن من لازم الصمت بحيث جعله سجية له حتى تعودت نفسه عليه ينجو مما لم ينجو منه من كان عكسه، من عواقب زلات اللسان، والمراد أنه لا يُكثر الكلام، لا يتكلم إلا لحاجة، وليس المراد السكوت مطلقا فهذا مذموم، فلابد للمؤمن أن يذكر الله سبحانه ويقرأ القرآن ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولكن لا يكثر الكلام في غير ذلك لأن من أكثر الكلام خرج من فمه ما يندم عليه، من سفه أو غيبة أو نميمة أو عقوق أو جرح مشاعر أو الكذب أو إفشاء السر أو عُجب أو استهزاء أو نحو ذلك،

ولكن إن عَوّدَ نفسه قلة الكلام، وعدم الخوض فيما لا يعنيه يستطيع توزين كلامه قبل إخراجه، ويتأمل في العواقب

قال النووي: اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.
[رياض الصالحين] صفحة (٦٦٨) تحقيق الشيخ أبي عمرو الحجوري

ومما يدل على أن المحمود من الصمت ما سوى الخير ما في الصحيحين عن أبي هريرة وأبي شريح رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم : " ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ".

قوله:« أو ليصمت »

قال ابن حجر : بضم الميم ويجوز كسرها، وهذا من جوامع الكلم لأن القول كله إما خير وإما شر وإما آيل إلى أحدهما؛ فدخل في الخير كل مطلوب من الأقوال فرضها وندبها، فأذن فيه على اختلاف أنواعه، ودخل فيه ما يئول إليه، وما عدا ذلك مما هو شر أو يئول إلى الشر فأمر عند إرادة الخوض فيه بالصمت. وقد أخرج الطبراني والبيهقي في " الزهد " من حديث أبي أمامة نحو حديث الباب بلفظ: " فليقل خيرا ليغنم، أو ليسكت عن شر ليسلم "
[فتح الباري بشرح صحيح البخاري](٤٤٦/١٠)

قال النووي: وهذا صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة، فلا يتكلم. [رياض الصالحين] صفحة (٦٦٨)

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها، يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب»

وفي الترمذي عن بلال بن الحارث المزني يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه ".

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ".

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد مرفوعا« من يضمن لي ما بين لحييه وفرجه أضمن له الجنة »

وفي الصحيحين عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر ".

وفي حديث معاذ عند أحمد والترمذي والنسائي: " أخبرني بعمل يدخلني الجنة "، فذكر الوصية بطولها، وفي آخرها: " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ كف عليك هذا، وأشار إلى لسانه ".

وللترمذي من حديث عقبة بن عامر: " قلت: يا رسول الله، ما النجاة ؟ قال: " أمسك عليك لسانك ".

💢 شأن السلف الصالح رضوان الله عليهم في هذا الباب عجيب جدا روى مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أن عمر دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو يجبذ لسانه، فقال عمر : مه، غفر الله لك! فقال أبو بكر : هذا الذي أوردني الموارد .

وكان ابن مسعود يحلف بالله الذي لا إله إلا هو : ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

وقال ابن بريدة: رأيت ابن عباس آخذ بلسانه وهو يقول: ويحك قل خيرا تغنم، أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم، قال: فقيل له: يا ابن عباس، لم تقول هذا؟ قال: إنه بلغني أن الإنسان ليس على شيء من جسده أشد حنقا أو غيظا يوم القيامة منه على لسانه إلا ما قال به خيرا، أو أملى به خيرا.

وقال الحسن: اللسان أمير البدن، فإذا جنى على الأعضاء شيئا، جنت، وإذا عف عفت.

أورد هذه الآثار الإمام ابن رجب في كتابه [جامع العلوم والحكم](١٤٨/٢)

وفي"نضرة النعيم" آثار كثيرة من شاء فليرجع إليها (٢٦٤١/٧) منها:

_ قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-:من كثر كلامه كثر سقطه

_قال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: اللسان قوام البدن، فإذا استقام اللسان استقامت الجوارح، وإذا اضطرب اللسان لم تقم له جارحة.

_ عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته.

ـ عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما-: دع ما لست منه في شيء، ولا تنطق فيما لا يعنيك، واخزن لسانك كما تخزن ورقك.

بغض النظر عن صحتها أو ضعفها، فمعناها حق لا مرية فيه

ـ من أكثر من الكلام ربما صدر منه الشرك عياذا بالله كالحلف بغير الله سبحانه ونحو ذلك، وهذا كثير عند العامة وهو غالب أيضا عند أصحاب الأغاني والمجون وقد جمع بعض مشايخ السنة (١) كلمات شركية وقعت في كثير من الأغاني التي يسمعها كثير من العوام ولا يتنبهون، وبعضهم مع كثرة الكلام ربما حلف بغير الله سبحانه

وقد روى البخاري عن ابن عمر «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»

ولأبي العتاهية أيضا من [بحر الطويل]:

وفي الصمت المبلغ عنك حكم ... كما أن الكلام يكون حكما

إذا لم تحترس من كل طيش ... أسأت إجابة وأسأت فهما

أشد الناس للعلم ادعاء ... أقلهم لما هو فيه علما

أرى الإنسان منقوصا ضعيفا ... وما آلو لعلم الغيب رجما.

وقال بعضهم:

احذر لسانك أيها الإنسانُ   لا يلدغنك إنه ثعبانُ

---

(١) الشيخ الفاضل أبو يوسف نجيب الشرعبي حفظه الله له خطبة في الكلمات الشركية التي في بعض الأغاني، نقل فيه ألفاظ كثير من ألفاظهم الشركية، التي تتردد في الأعراس وغيرها ستجدها في قناته على التيلجرام صوتيا وتجدها أيضا في كتابه الذي جمعه في الخطب

قوله: من لزم الصمت نجا.

يذكر بعضهم طرفة في ذلك وهي: أن صيادا كان يبحث عن صيد وكان عصفور على شجرة لكن الصياد لم يكن قد رآه، فغرد العصفور فاصطاده الصياد

فقيل: لو صمتَ لنجا!

فائدة: ألف الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد المشهور بابن أبي الدنيا كتابا حافلا سماه " الصمت وآداب اللسان " وألف السيوطي كتابا سماه " حسن السمت في الصمت " وهو مستفيد من ابن أبي الدنيا وينقل مروياته

تجد في هذين الكتابين مرويات كثيرة في الباب لكن تحتاج إلى تحقيق من ذلك ما أخرجه الطبراني عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليك بطول الصمت إلا من خير , فإنه مطردة للشيطان عنك وعون لك على أمر دينك "

قال محمد بن أبي العتاهية:

قد أفلح الساكت الصموت كلام راعي الكلام قوت
ما كل نطق له جواب جواب ما يكره السكوت
يا عجبي لامرئ ظلوم مستيقن أنه يموت. [تاريخ بغداد](٢/٣٥٧)

الأصل في شرحي لهذه الأبيات الاختصار ولكني أطلت يسيرا في هذا الموضوع لعظيم أهميته، ونسأل الله السلامة والعافية

قال الناظم: ... ... من قال بالخير غنم.

قد سبق ذكر الحديث الذي أخرجه الطبراني والبيهقي في " الزهد " عن أبي أمامة " فليقل خيرا ليغنم، أو ليسكت عن شر ليسلم " ولعل أبا العتاهية إنما أخذ هذا المعنى فنظمه في البيت الذي نشرحه وهو قوله: من لزم الصمت نجا ... من قال بالخير غنم.

← من قال بالخير غنم؛ لأن الخير لا يأتي إلا بخير ، من تكلم بالخير سيغنم، حتى وإن افترى المفترون عليه، وحرفوا مقصوده فإنه سيغنم يوم القيامة الأجور العظيمة إن أخلص عمله لله وحده ولابد من هذا الشرط وهو الإخلاص، وإلا فقد يقول المرء الخير ولا يغنم بل وليته يسلم! فإنه أول من يعاقب وتسعر به النار

لما في مسلم عنأبي هريرة« إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه.. ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم، وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال : كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به، فسحب على وجهه حتى ألقي في النار »

وفي عن أسامة بن زيد مرفوعا « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون : يا فلان، ما لك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه » .

قوله: فتندلق. أي: تخرج. والأقتاب: الأمعاء، واحدها: قِتب.

القول بالخير صوره كثيرة جدا منها:

ذكر الله سبحانه مطلقا ، سواء قراءة القرآن، أو الاستغفار أو الأدعية أو التسبيح أو الأذكار أذكار الحجاج والمعتمرين أو أذكار الصلاة أو أذكار الصباح والمساء أو أذكار الدخول والخروج أو أذكار النوم أو أذكار السفر أو أذكار الأكل والشرب قبل وبعد...

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ،

والصدع بالحق،

والدعوة إلى الله بالتوجيه والإشاد

والنصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم،

والإصلاح بين الناس،

والدفاع عن أعراض المسلمين،

وإدخال السرور على المسلمين عموما، وعلى الوالدين والأقربين خصوصا فهذا أعظم لحديث عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي " . رواه الترمذي وأحمد وغيرهما

ومن القول بالخير : التأليفات التي تخدم أهل الإسلام، من كتب ورسائل وبحوثات ومنشورات وجرائد

ومن القول بالخير : الشفاعات الحسنة، وتزكية من يستحق التزكية
ومن القول بالخير : الجرح والتعديل بعدل وإنصاف وإخلاص لله

قال الناظم:

💢 ٨_ من عف واعتف اكتفى... من جحد الحق أثم

معناه: أن الذي يَعف نفسه عن الحرام، اكتفى بالحلال.
قال ابن فارس: العين والفاء أصلان صحيحان:
أحدهما الكف عن القبيح، والآخر دال على قلة شيء.

فالأول: العفة: الكف عما لا ينبغي. ورجل عف وعفيف.
وقد عف يعف عفة وعفافة وعفافا.

والأصل الثاني: العفة: بقية اللبن في الضرع. وهي أيضا العفافة.

[مقاييس اللغة](٣/٤) والشاهد الأول

واعتف هي بمعنى عف كما في " المعجم الوسيط " وقد يقال: إن اعتف فيها زيادة معنى وهو طلب العفاف ، فيكون المعنى ومن عف وطلب العفاف اكتفى وقنع بما قسم الله سبحانه له من الحلال، لأن المرء قد يعف نفسه عن الحرام، لكنه لا يطلب مزيد العفاف، ولذلك هذا إذا تيسر له الحرام سيقع فيه ؛ لأنه لا يطلب العفاف في ما يأتي ويذر والله تعالى أعلم

روى الترمذي والحاكم وأحمد عن سيار أبي الحكم عن أبي وائل قال: أتى عليا رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين إني عجزت عن مكاتبتي فأعني، فقال علي رضي الله عنه: ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان عليك مثل جبل صبر دنانير لأداه الله عنك؟ قلت: بلى، قال: قل:«اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك» وحسنه الألباني.

[سلسلة الأحاديث الصحيحة](٥٣٢/١)

وفي حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟» قلت: أنا يا رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا فقال: «اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب» . رواه أحمد والترمذي، وحسنه العلامة الألباني في" الصحيحة " [٦٠١/٢]

الشاهد قوله:«وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»

يقولون: القناعة كنز الغنى؛ ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه

فمن كان قانعا بما قسم الله سبحانه له يكتفي به، ويجد أنه غنيا به عما سواه، فلا يفكر بالسرقة ولا بالزنا ولا باللواط ولا بالشحاتة وسؤال الناس ولا التطلع إلى ما بأيدي الناس ولا نحو ذلك من المعاصي حتى ولو كان فقيرا من حيث المال، لكنه صابر وراض بذلك

وهذا كان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فإنه ينطبق فيهم قوله سبحانه:{يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا}[البقرة: ٢٧٣]

فيا عبد الله تأمل قوله تعالى:{نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات}[الزخرف: ٣٢]

ومما يعينك على هذا العمل بوصية رسول الله عليه وسلم:
«انظروا إلى من أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم» متفق عليه عن أبي هريرة وهذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخَلق فلينظر إلى من هو أسفل منه»

قوله: فضل عليه في المال والخَلق. بفتح الخاء وسكون اللام

وفيه نصيحة لأصحاب البشرة السوداء وأصحاب الأشكال الذميمة وأصحاب الإعاقات

أن هذا ما قسم الله سبحانه لهم في هذه الدنيا فيجب عليهم الرضى به، وعدم التطلع إلى ما عند الآخرين؛ فإن التطلع إلى من فضلهم الله عليك في الدنيا يحدوا بك إلى احتقار نعمة الله عليك حتى ربما تقول: وأيّ نعمة أنا فيها ؟ فلا يرى نعمة عليه!

وصدق الله سبحانه إذ يقول:{قتل الإنسان ما أكفره}[عبس:١٧]

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:«فهو» أي: عدم التطلع إلى المفضلين عليك في دنيا، سواء في المال، أو الجمال، أو الجاه والسيادة، والحسب والنسب «أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»

فإذن المراد أن المرء لو نظر إلى شخص مفضل عليه في الدنيا ينبغي له أن ينظر إلى من هو دونه في ذلك حتى يرى أن الله فضله على غيره كما فضل غيره عليه

وقوله صلى الله عليه وسلم:«فضل عليه في المال والخَلق» بفتح الخاء كما سبق وليس الخلق بضم الخاء واللام، فإن أمور الآخرة على العكس، أي: ينبغي للمرء أن ينظر إلى من هو فوقه، ولا ينظر إلى من هو دينه حتى تعلو همته وينافس

فالتنافس في أعمال الخير وما ينفع العبد في آخرته مطلوب {وفي ذلك فليتنافس المتنافسون}[المطففين:٢٦]

وحسن الخلق من أعظم أعمال البر بل جعل النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق هو البر كما في مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه «البر حسن الخلق»

وجعله نصفَ طريق الجنة كما في حديث أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال:«تقوى الله وحسن الخلق، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: الفم والفرج» رواه الترمذي وهو حسن

فإذن المنهي عنه أن يتطلع المرء إلى من فضله الله عليه بالخلق أي: بالخلقة والشكل كنظر الأسود إلى الأبيض نظرة حسد

واحتقار لنعمة الله عليه

وأما نظر المرء إلى من فضله الله عليه في الخلق الحسن فلا بأس بل هو مستحب حتى يقتدي به ويدعو الله أن يحسن خلقه

سؤال: قد يقال: لماذا جعل الله هذا أسودا وهذا أبيضا، ولم يجعلهم كلهم بيضا؟

الجواب عن هذا من وجهين:

١_ لا يصلح السؤال عن أفعال الله سبحانه {لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون}[الأنبياء:٢٣]

فلا يصح السؤال من أصله، مع وجوب اعتقاد أن كل ما يفعله الله هو الأحكم والأولى، وليس غيره أولى منه، فالله هو العليم الحكيم، كل أفعاله صادرة عن تمام العلم والحكمة

٢_ إنما فعل الله سبحانه ذلك ابتلاء واختبارا وهو الرب سبحانه يختبر عباده بما شاء، من الذي سيمنعه من ذلك؟

فهو ابتلى القبيح بالقبح هل سيصبر عليه؟ كما أنه ابتلى الجميل بالجمال هل سيشكر ويعرف نعمة الله عليه

وهكذا قل في نحو ذلك من أمور الدنيا كالغنى والفقر

وإذا أعطى العبد شيئا من حطام الدنيا لم يكن هذا دالا على فضله فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب ولذلك في حديث سهل بن سعد عند الترمذي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء»

قال ابن القيم رحمه الله:

لو ساوت الدنيا جناح بعوضة ... لم يسق منها الرب ذا الكفران

لكنها والله أحقر عنده ... ذا الجناح القاصر الطيران.

[الكافية الشافية](٣٠٨/١)

وقال بعضهم:

ليس السعيد الذي دنياه تسعده إن السعيد الذي ينجو من النار

وما أحب الإطالة لكن الكلام يجر بعضه بعضا ولعل فيه خير والله المستعان.

فالخلاصة أن من عف نفسه عن الحرام كفاه الله بالحلال {أليس الله بكاف عبده} وقرأ بعضهم {أليس الله بكاف عباده}

💢 تنبيه:شرحت صدر البيت ظنا مني أنه: من عف واعتف اكتفى.

ولكن لم أتنبه إلى أن لفظه: من عف واكتف زكا.

وليس بينهما فرق كبير ، فما ذكرته يصدق على هذا

فمعنى قوله: من عف واكتف زكا. أن الذي عف نفسه عن الحرام وكف نفسه عن الوقوع في الحرام يزكو أي: يصير زكيا، طاهرا ليس مدنسا بالمعاصي

قال ابن فارس رحمه الله:

الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال. قال بعضهم: سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضهم: سميت زكاة لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله جل ثناؤه: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها} [التوبة: 103] .
والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة. ومن النماء: زرع زاك... [مقاييس اللغة](١٨/٣)

ومن زكت نفسه أفلح

قال عزوجل:{قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} [الشمس: ٩]

وقال جل وعلا:{قد أفلح من تزكى}[الأعلى: ١٤] ولا يتعارض هذا مع قوله تعالى:{فلا تزكوا أنفسكم}[النجم: ٣٢] فإن المراد هنا المدح والثناء ولذلك قال بعد ذلك {هو أعلم بمن اتقى} وأما تزكية النفس أي: تطهيرها بالطاعات والبعد عن المعاصي فهذا هو المطلوب شرعا

قال الناظم:

💢 ٨ـ ... ... من جَحَدَ الحق أثم

قال ابن فارس: الجحود، وهو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح. قال الله تعالى: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم} [النمل: 14] .

قال: وما جاء جاحد بخير قط. [مقاييس اللغة](٤٢٦/١)

معنى العجُز ظاهر وهو: أن الذي يجحد الحق يأثم وذلك لأمور

ـ كونه جحد حقا وهذا مخالف للأدلة {إن الله يأمركم أن تؤدوا الآمانات إلى أهلها}[النساء:٥٨]

ـ كونه وقع في كذب ومعلوم أن الكذب من الكبائر !

ـ كونه وقع في خيانة وهي حرام {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون}[الأنفال:٢٧]

وصور جحد الحق عامة، سواء جحد حق الله سبحانه وهذا يدخل فيه: الملحدون والكفار بأصنافهم فإنهم جحدوا حق الله سبحانه ونسبوه لغيره ، الذين يجحدون وجود الله أو يجحدون أن الله خلقهم، أو أن الله هو المتصرف بجميع الكون، أو أن الله يعلم الجزئيات والأمور الدقيقة في هذا الكون ويدخل فيه: نفاة الصفات والأسماء والأفعال أو بعض ذلك ويدخل فيه: المتطيرون المتشائمون ويدخل فيه عباد القبور والأولياء وغير ذلك ، ويدخل فيه الذين يقولون:«مطرنا بفضل الكوكب»

وهكذا جحود حقوق العباد سواء الإعارات أو الديون

يعني أن تستعير شيئا لتنتفع به على أن ترده ثم تنكر صاحبه وتقول له: لم آخذ منك شيئا!

أو تستدين وتنكر أنك استندت فلا تقضي الدين الذي عليك

روى مسلم عن عائشة، قالت: كانت امرأة مخزومية تستعير المتاع وتجحده، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تقطع يدها.

فهذا الجحود عده النبي صلى الله عليه وسلم سرقة وأمر بإقامة الحد عليها لقوله تعالى:{والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما نكالا من الله والله عزيز حكيم}[المائدة:٣٨]

ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم متنزها عن هذه الصفة الذميمة ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يتقاضاه، فأغلظ فهم به أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوه، فإن لصاحب الحق مقالا»، ثم قال: «أعطوه سنا مثل سنه»، قالوا: يا رسول الله، إلا أمثل من سنه (أي: أحسن من حقه) ، فقال: «أعطوه، فإن من خيركم أحسنكم قضاء»

فهذا الرجل جاء وأغلظ القول لرسول الله صلى عليه وسلم اي: شدد في المطالبة وأثقل بالقول ومع ذلك لم يجحده حقه بل اعترف له بحقه ورد له أفضل من حقه

فمن استعار شيئا وجب عليه رده بعد انتفاعه به، ومن جحده أثم

والعارية جائزة بل مستحبة وقد تجب؛ ولذلك قال الله سبحانه:{ويمنعون الماعون} قال ابن عباس وغيره : هي العارية،

روى أبو داود عن يعلى بن أمية قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أتتك رسلي فأعطهم ثلاثين درعا وثلاثين بعيرا ". قال : فقلت : يا رسول الله، أعارية مضمونة أو عارية مؤداة ؟ قال : " بل مؤداة ".

إن استعار شيئا فأتلفه أو أتلف بعضه يضمن إن كان من تفريطه، وإن كان حريصا على سلامته لا يضمن إن تلف أو نقص.

◄ من استعار شيئا فنقص، ضمن ذلك النقصان

قال الصنعاني: العارية بتشديد المثناة التحتية وتخفيفها ويقال عارة وهي مأخوذة من عار الفرس إذا ذهب لأن العارية تذهب من يد المعير أو من العار لأنه لا يستعير أحد إلا وبه عار وحاجة وهي في الشرع عبارة عن إباحة المنافع من دون ملك العين.

وقال أيضا: المضمونة التي تضمن إن تلفت بالقيمة والمؤداة التي تجب تأديتها مع بقاء عينها، فإن تلفت لم تضمن بالقيمة. والحديث دليل لمن ذهب أنها لا تضمن العارية إلا بالتضمين، وقد تقدم أنه أوضح الأقوال. انتهى.

وإعارة المحتاج من فعل الخير {وافعلوا الخير لعلكم تفلحون}

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعير الشيء عند الحاجة فقد قال الإمام البخاري: حدثنا آدم ، حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : سمعت أنسا يقول : كان فزع بالمدينة، فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من أبي طلحة يقال له : المندوب، فركب ، فلما رجع قال : " ما رأينا من شيء وإن وجدناه لبحرا ".

والإعارة مندوبة، لا تجب، خلافا لبعض الظاهرية

قال شيخنا: وهو خلاف قوي.

قلت: في بعض الصور مذموم يقينا، أي ترك الإعارة، كأن يكون رجل عنده سيارة وحصل لجاره مرض طارئ كولادة أو جراحة نزيف و.. فأبى أن يعيره وأبى أن يأخذه إلى المستشفى من غير عذر ولا يوجد في القرية سيارة 🚗 غير سيارة جاره ، فهذا يأثم بلا ريب، والله أعلم، وهكذا إعارة النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلب شيئا فامتنع المطلوب منه!

وقوله سبحانه:{ويمنعون الماعون} على سبيل الذم.

وقال ابن عباس: هو العارية، وسميت ماعونا: لأن الناس يعين بعضهم بعضا.

وقد ورد في الخبر : أنه مثل الماء والملح والفأس والقدر والمقدحة وما أشبه ذلك، وفي بعض الأخبار عن عائشة - رضي الله عنها - أنها سألت النبي ما الذي لا يحل منعه؟ قال: " الماء والملح و النار ". وفي بعض الروايات زيادة: " والحجر والدلو ". وحكى أبو الحسين بن فارس عن أبيه فارس، أن الماعون هو الماء، حكاه عن أهل اللغة، وقد ذكره النحاس أيضا في كتابه.

[تفسير السمعاني](٢/٢٨٩)

عن أبي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أربعون خصلة، أعلاهن منيحة العنز، ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق موعودها، إلا أدخله الله بها الجنة " رواه البخاري.

◄ ليس كل شيء تجوز إعارته، فلا يجوز إعارة الزوجة!

بل ولا الجارية

قال ابن حزم: اتفقوا على ان عارية الجواري للوطء لا تحل واتفقوا على أن عارية المتاع للانتفاع به، لا لأكله ولا لافساده ولا للتملك لكن للباس والتجمل والتوطئ ونحو ذلك جائز واتفقوا أن عارية السلاح ليقاتل به أو الدواب لركوبها جائزة وكذلك كل شيء يستعمل في أغراضه ولا يعدم شخصه ولا يغير ولا شيء مما خرج منه لكن كالدار للسكنى والعرصة يبني فيها وما أشبه ذلك جائز إذا كان المعير والمستعير حرين عاقلين بالغين

وأجمعوا أن المستعير إذا تعدى في العارية فإنه ضامن لما تعدى فيه منها مما باشر افساده بنفسه. [مراتب الإجماع](١/٤٩)

ونقل الإجماع أيضا أبو بكر ابن المنذر في [الإشراف على مذاهب العلماء](١٩٥)

قال شيخنا المحدث العلامة يحيى بن علي الحجوري حفظه الله : من ساق دراجة فتلف الكفر (١) لم يضمن لأن هذا لا يكون عن تفريط، إلا إن اشترط عليه أنه إن فسد شيء يصلحه.

[يوم الخميس _ بعد الظهر _ ٧_٤_١٤٤٦]

---

(١) الكفر : بفتح الكاف والفاء هي عجلة الدراجة .

قال الناظم:

💢 ٩_ من مسه الضر شكا ... ...

لعل المراد والله أعلم: أن طبيعة الإنسان إذا أصابه ضر يشتكي والمحمود أن يشكو حاله لله وهو أعلم، ولكن ذلك يدل على افتقار العبد واحتياجه لخالقه ومولاه

وأما الشكوى للمخلوقين فهو على ثلاثة أقسام:

١_ جائز وذلك إذا كان من غير تسخط ولا جزع ولا تعرض لمسألة ودليل جوازه أنه قد اشتكى النبي صلى اللّٰه عليه وسلم كما في كثير من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما منها: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها: مارية، وكانت أم سلمة ، وأم حبيبة رضي الله عنهما أتتا أرض الحبشة، فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها، فرفع رأسه، فقال: «أولئك إذا مات منهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا، ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله» هذا لفظ البخاري، وفي الصحيح قالت عائشة رضي الله عنها: واراأساه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وأدعو لك»، فقالت عائشة: وا ثكلياه، والله إني لأظنك تحب موتي، ولو كان ذاك، لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " بل أنا واراأساه، لقد هممت - أو أردت - أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد، أن يقول: القائلون أو يتمنى المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، - أو يدفع الله ويأبى المؤمنون "

وهذا النوع من الشكاية لا ينافي الصبر ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم فعله وهو إمام الصابرين وهو القائل: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له» رواه مسلم عن صهيب بن سنان الرومي

٢_ مكروه إذا كان تعرضا للسؤال

كأن يصف فقره واحتياجه لرجل غني لأجل أن يعطيه!

٣_ محرم وذلك إذا كان على سبيل التسخط والجزع من أقدار الله سبحانه؛ لأن الإيمان بأقدار الله والتسليم لها واجب، بل هو أحد أركان الإيمان التي من أخل بها خرج من ملة الإسلام { إنا كل شيء خلقناه بقدر }، «وتؤمن بالقدر خيره وشره»

قال عبد الله ابن أبي داود:

وبالقدر المقدر أيقن فإنه   دعامة عقد الدين والدين أفيح

قال شيخ الإسلام في قصيدته التائية في القدر :

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة ... هو الخوض في فعل الإله بعلة

قال الناظم:

💢 ٩_ ... ... من عضه الدهر ألم

معنى العجز مقارب للصدر وإن كان هذا التعبير منتقد لما فيه من نسبة الأمور إلى الدهر وهو كثير في ألسنة الشعراء وهو: واضح أن من جرت عليه الأقدار المؤلمة يتألم؛ لأن المخلوق ضعيف، يتألم ويتوجع، ويشكو

فواعجباه لمن يتكبر من الخلق!

◄ نسبة التصرفات إلى الدهر في أقل أحواله غلط، لم يجر عليه عمل السلف، وإلا فهو شبيه بقول الكفار {وما يهلكنا إلا الدهر} [الجاثية: ٢٤]

ولا شك أن هذا ليس مقصود أبي العتاهية؛ لأن اعتقاد أن المتصرف بالكون هو الدهر وليس الرب سبحانه كفر أكبر ظاهر وإنما قد يطلقون هذا ظنا منهم أن الله هو الدهر للحديث المعروف «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» متفق عليه عن أبي هريرة

أو قد ينسبون التصرفات هذه إلى الدهر والدهر هو الليالي والأيام لكونه محلا لهذه الأمور ، فيكون قوله: من عضه الدهر معناه: الذي عضته الأيام والليالي ألم. أي: سيتألم ، ومعنى عضته الأيام والليالي أن الأقدار المؤلمة نزلت عليه في أيامه ولياليه

وعلى هذا فلا انتقاد على العبارة إلا من حيث كون السلف الصالح من الرسول والصحابة الشعراء وغيرهم لم يستعملوه مطلقا ، وعلى كل فالأولى ترك هذا التعبير ونحوه لأن المقصود يمكن تأديته بغيره، والسلامة لا يعدلها شيء.

قال شيخ الإسلام: إذا تبين هذا فللناس في الحديث قولان معروفان لأصحاب أحمد وغيرهم: أحدهما: وهو قول أبي عبيد وأكثر العلماء أن هذا الحديث خرج الكلام فيه لرد ما يقوله أهل الجاهلية ومن أشبههم، فإنهم إذا أصابتهم مصيبة أو منعوا أغراضهم، أخذوا يسبون الدهر والزمان، يقول أحدهم: قبح الله الدهر الذي شتت شملنا، ولعن الله الزمان الذي جرى فيه كذا وكذا.

وكثيرا ما جرى من كلام الشعراء وأمثالهم نحو هذا، كقولهم: يا دهر فعلت كذا، وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور، ويضيفونها إلى الدهر، فيقع السب على الله تعالى؛ لأنه هو الذي فعل تلك الأمور وأحدثها، والدهر مخلوق له، هو الذي يقلبه ويصرفه، والتقدير أن ابن آدم يسب من فعل هذه الأمور، وأنا فعلتها، فإذا سب الدهر فمقصوده سب الفاعل، وإن أضاف الفعل إلى الدهر، والدهر لا فعل له، وإنما الفاعل هو الله وحده.

وهذا كرجل قضى عليه قاض بحق، أو أفتاه مفت بحق، فجعل يقول: لعن الله من قضى بهذا أو أفتى بهذا، ويكون ذلك من قضاء النبي - صلى الله عليه وسلم - وفتياه، فيقع السب عليه، وإن كان الساب لجهله أضاف الأمر إلى المبلغ في الحقيقة، والمبلغ فعل من التبليغ، بخلاف الزمان فإن الله يقلبه ويصرفه. [الفتاوى الكبرى](٥/٦٦)

وقال شيخ الإسلام: وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر" وقوله فيما يروي عن ربه عز وجل: "يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" فإن من سب الدهر من الخلق لم يقصد سب الله سبحانه وإنما يقصد أن يسب من فعل به ذلك الفعل مضيفا له إلى الدهر فيقع السب على الله لأنه هو الفاعل في الحقيقة وسواء قلنا إن الدهر اسم من أسماء الله تعالى كما قال نعيم بن حماد أو قلنا إنه ليس باسم وإنما قوله: " أنا الدهر " أي أنا الذي أفعل ما ينسبونه إلى الدهر ويوقعون السب عليه كما قاله أبو عبيدة والأكثرون ولهذا لا يكفر من سب الدهر ولا يقتل لكن يؤدب ويعزر لسوء منطقه والسب المذكور في قوله تعالى: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم}

قد قيل: إن المسلمين كانوا إذا سبوا آلهة الكفار سب الكفار من يأمرهم بذلك وإلههم الذين يعبدونه معرضين عن كونه ربهم وإلههم فيقع سبهم على الله لأنه إلهنا ومعبودنا فيكونوا سابين لموصوف وهو الله سبحانه ولهذا قال سبحانه: {عدوا بغير علم} وهو شبيه بسب الدهر من بعض الوجوه. [الصارم المسلول](١٩٤/١)

قال الناظم:

💢 ١٠_ لم يعد حيا رزقه رزق امرء حيثُ قسِمْ

معنى البيت: أن رزق المرء الذي كتبه الله له وهو في بطن أمه جنينا لن يأخذه غيره، فهو سيجده في المكان الذي قد قدر الله أنه سيتحصل عليه

فلا يمكن أن يأخذ رزقك أحد من الخلق،

ولا يمكن أن تأخذ رزقك في غير المكان الذي كتبه الله لك البتة؛ لأن ما كتبه الله كونا لا يتغير ولا يتبدل وهو على كل شيء قدير لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه

قوله:[لم يَعدُ] أي: لم يتجاوز [حيا رزقه] بحيث يذهب إلى غيره لأن أوامر الله سبحانه الكونية لا تخطئ ولا يحصل فيها غلط

[رزق امرء] الذي كتبه الله له وهو جنينا [حيث قسم] أي: في المكان الذي قسمه الله له

سؤال: ما الدليل على أن الله سبحانه قد كتب رزق العبد وهو جنينا في بطن أمه ❓

الجواب:- ما رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الصادق المصدوق : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد... » الحديث

وفائدة هذا البيت أن يعلم العبد أن رزقه قد قسم، وأن رزقه لن يأخذ أحد عليه، بل سيأخذ ما كتبه الله له كاملا، ولن يموت حتى يستكمل رزقه كله الذي قد كتبه الله له

وإذا علم العبد ذلك لم يحصل له قلق على الرزق، ولا الخوف من الفقر ولا يلجا إلى الحرام، بل يسلم أن رزقه لن يفوته

ولا يعني هذا أنه يترك العمل بالأسباب فإن الله كتب الرزق وربطه بأسبابه، فالعمل بالأسباب واجب، ومن طلب الرزق من دون سبب فهو ناقص في العقل والدين

روى البغوي في [شرح السنة](٣٠٤/١٤) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا قد أمرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا قد نهيتكم عنه وإن الروح الأمين - وفي لفظ: وإن روح القدس - نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ألا فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته ». ورواه البيهقي في [شعب الإيمان] إلا أنه لم يذكر: «وإن روح القدس» وأخرجه ابن حبان والحاكم

وذكره المنذري في " الترغيب والترهيب " عن حذيفة رضي الله عنه ـ قال قام النبي صلى الله عليه وسلم فدعا الناس فقال:«هلموا إلي فأقبلوا إليه فجلسوا فقال هذا رسول رب العالمين جبريل عليه السلام نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وإن أبطأ عليها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تأخذوه بمعصية الله؛

فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته»

قال: رواه البزار ورواته ثقات إلا قدامة بن زائدة بن قدامة فإنه لا يحضرني فيه جرح ولا تعديل.

فهذه نصيحة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزمها تجد والخير والبركة

فلا بركة في الرزق الحرام مهما كثر لأن مصيره إلى العذاب والشقاء

{يمحق الله الربا ويربي الصدقات}[البقرة: ٢٧٦]

عن ابن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : " ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة ". رواه ابن ماجه

إذا رأيت الحرام كثرته تذكر القبر وظلمته، وعذاب النار وشدته فاقنع بالحلال وبلغته، ففيه الكفاية

قال الناظم:

💢 ١١_ من مُنحَ الحفظ وعى   من ضيع الحفظ وهم

هذا البيت وجدته في كتاب [جامع بيان العلم وفضله](٢٩٣/١)

للإمام ابن عبد البر رحمه الله، نسبه لأبي العتاهية وهو مشاكل للقصيدة التي نحن بصدد التعليق عليها، فأردت إدراجها معها

معنى البيت: أن من رزقه الله الحفظ فقد أنعم عليه بنعمة عظيمة فإنه يعي ما لا يعي غيره، ومن ضيع الحفظ بحيث أعرض عن حفظ العلم، أو ترك المراجعة لما قد حفظ لا شك أنه سيحصل له الوهم والغلط لا سيما إن أراد أن يتصدر للتعليم والتحديث

وهكذا من كان ضابطا علمه في كتابه فضيع كتابه يختلط ويهم كما حصل لكثير من المحدثين.

◄ الحفظ هو سبيل تحصيل العلم

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : العلم الحفظ.

وقال الإمام مسلم: وحدثني يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، وحجاج بن الشاعر ، جميعا عن أبي عاصم ، قال حجاج : حدثنا أبو عاصم ، أخبرنا عزرة بن ثابت ، أخبرنا علباء بن أحمر ، حدثني أبو زيد - يعني عمرو بن أخطب - قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا.

وقال الدارمي: أخبرنا أبو معمر ، ومحمد بن عيسى ، عن هشيم ، أنبأنا حجاج ، عن عطاء قال : كنا نأتي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا، فكان أبو الزبير أحفظنا لحديثه.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه يقول : ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني، إلا عبد الله بن عمرو ؛ فإنه كان يكتب، وكنت لا أكتب. أخرجه البخاري ومسلم

◄ من علم فضل العلم حرص على حفظه وتحصيله

قال ابن الجوزي: ويكفي من المعقولات: أن العلم يدعيه من ليس من أهله، وينفر من النسبة إلى الجهل، والجاهل، ,لا يخفى أن ارتفاع قدر العالم بمقدار علمه، فإن قل قلت رفعته.

[الحث على الحفظ وذكر كبار الحفاظ](٣٣/١)

راجع هذا الكتاب وأمثاله تجد العجائب، ولا أحب الإطالة

هذا آخر ما قصدته والحمد لله رب العالمين

الفهرس